

استشارات أُسرّية

مجاهد مأمون ديرانية

مُشكلات زوجية



للترجمة
والنشر

AJYAL Publishers

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استشارات أُسرّية

مجاهد مأمون ديريّنة

مشكلات زوجيّة



للترجمة
والنشر

الأجيال

AJYAL Publishers

الطبعة الإلكترونية الأولى

٢٠٢٥

هذا الكتاب وقفٌ لله تعالى

يجوز تداول هذا الكتاب -بإذن المؤلف-
للاقتناء الشخصي أو لأغراض تعليمية ودعوية
وتربوية غير ربحية

وأنا أسمح بقراءته وطباعته وبالاقتباس منه دون
إذن مسبق، فمن أحب أن ينشر أي شيء فيه
احتساباً فلا أطلب منه سوى أمرين: الدقة في
النقل، فلا يبدّل في النص شيئاً بل ينقله بأمانة
كما هو، وأن ينسب القول إلى قائله باسمه
الصريح ويدعو له، فإن دعوة بظهر الغيب أنفع
لي من ذهب الأرض.

الموقع الإلكتروني للمؤلف

<https://mujahed-dira.com>

حساب المؤلف في فيسبوك

<https://www.facebook.com/MujaDira>

مُقَدِّمَةٌ

تعريف بهذه المجموعة

شاركت زماناً بتحرير باب المشكلات التربوية والأسرية في عدد من المواقع والمجلات، فاجتمعت بين يديَّ طائفةٌ من المسائل التي دأبتُ على الإجابة عنها فيها، ومنها جاءت مادة هذا الكتاب والكتب الثلاثة الأخرى في مجموعة «الاستشارات الأسرية» التي أنشرها اليوم.

وقد كان منهجي الذي ألزمت به نفسي في الإجابة عن تلك الأسئلة أن أختصر إذا كانت المشكلة مما هو نادر الوقوع ولا يهم جمهور القراء، وأتوسع كلما وجدت مشكلة عامة يعاني منها أكثر المربين أو مشكلة شائعة بين الشبان والشابات أو متكررة بين الأزواج والزوجات، فمن أجل ذلك سيجد قارئ هذه الكتب أحياناً بعضَ التطويل في الحل الذي أقدمه لمشكلة من المشكلات، وعذري ما ذكرت.

ولما انصرفت إلى جمع مادة الكتب الأربعة

وجدت في بعض الأسئلة تكراراً أو تشابهاً،
فحرصت على اجتناب المكررات وانتخاب أوسع
الردود وأفضلها، ومع ذلك فإن الكتب لم تخلُ
من شيء من التكرار الذي لا يكاد يمكن اجتنابه،
فليعذرني القارئ على مثله.

وأخيراً اجتهدت في توزيع المشكلات على
الأبواب فجعلتها في أربعة كتب مستقلة: مشكلات
تربوية، ومشكلات زوجية، ومشكلات شبائية،
ومشكلات اجتماعية عامة.



وقد جمعت هذه المشكلات كلها تحت عنوان
جامع هو «استشارات أُسْريّة» لأن ما قدمته فيها إنما
هو رأي وليس حكماً قضائياً، ولو كنت قاضياً لوجب
عليّ السماع من الطرفين، فإنني لا أقضي -في أمثال
هذه الاستشارات- لطرف على طرف، بل أقدم الحل
وأسعى إلى الإصلاح معتمداً على التفاصيل التي
تصلني من أصحاب المشكلات. وربما أفضتُ في
الجواب وتوسعت فيه لأن الذي يعاني من مشكلة
معقدة يغلب أن يعجز عن الاستفادة من الوصفات
المجمّلة ويحتاج إلى إرشاد تفصيلي لحل مشكلته.

ثم إن بعض الأسئلة كانت مختصرة لدرجة الغموض ، وكثيراً ما ذكّرتني بالبرقيات التي كان الناس يتواصلون بها في الأيام الخالية، يوم لم تكن في الدنيا هواتف محمولة (جوّالات) ولم يكن التواصلُ الإلكتروني الحالي الذي كان بمقاييس أمس شيئاً من الخيال. في تلك الأيام كان المؤلف أن يرسل الواحد إلى الآخر برقية يضع فيها ما شاء من أخبار، ولما كانت كلفة البرقية بعدد ما فيها من حروف فإن المرسل كان يجتهد في ضغط حجمها وتقليل كلماتها، فتجيء البرقيات أقرب إلى الألغاز منها إلى مبسوط الكلام الذي يألفه الناس في مراسلاتهم الورقية.

ولو علم السائلون أن الجواب يزداد طولاً وصعوبة مع قصر السؤال وغموضه لجادوا ببعض التفصيل، فالذي يجيب عن هذا النوع من الأسئلة لا يملك بلّورة سحرية ينظر فيها فيعرف ما خفي من توضيحات وتفصيلات، فيُضطرّ إلى افتراض شتى الاحتمالات وتقديم الأجوبة عنها جميعاً.

لذلك أنصح الذين يرسلون المواقع الاستشارية طالبين النصح والتوجيه: اشرحوا مشكلاتكم شرحاً

وافياً ولا تعرضوها عرضاً موجزاً مُخلاً يفتقر إلى التفصيل والوضوح، لأن المستشار يحتاج إلى التفاصيل لكي يفهم المشكلة فهماً جيداً فيقدم لها الحل الصحيح، وكما يقول علماء الإدارة: "إن الخطوة الأولى في حل أي مشكلة هي فهم المشكلة واستيعابها بكل ما فيها من جزئيات وتفاصيل".

وتتبع هذه النصيحة نصيحة أخرى مهمة: تعلّموا الكتابة الجيدة لأن الفهم الجيد يعتمد على التعبير الجيد، ويؤسفني أن أقرر أن كثيراً من الراشدين الذين أنهوا كل مراحل التعليم وتخرجوا في الجامعات لا يتقنون الكتابة ولا يحسنون التعبير، وما أكثر ما أمضيت في قراءة رسائلهم الوقت الطويل وأنا أفكّ ألغازها وأستخرج معانيها من بين سطورها الدالة على أمية كاتبها والمغارقة في العُجمة والعامية، ثم بذلت جهداً كبيراً في تحريرها قبل نسخها هنا بالصورة التي ترونها في هذا الكتاب.

* * *

بقي أن أقول -ختاماً- أنني بذلت أقصى الجهد واستنفدت غاية الوسع في الاجتهاد واتقيت الله في كل حرف كتبته، وكثيراً ما ترددت وأنا أكتب الجواب

خشيةً أن أضربَ به ولا أفيد أو أفسد ولا أصلح لا قدّر الله. ولقد سألت الله الإخلاص والتوفيق وأنا أجيب السائلين مستمداً منه العون أولاً، ثم معتمداً على ما أملكه من ثقافة أكاديمية في علم النفس وعلم التربية (وهو كثير بفضل الله) وعلى خبرة نصف قرن في التربية والتعامل مع الناس وحل المشكلات.

ومع ذلك كله لا أدعي أن أجوبتي هي الحلول المثلى والصواب المطلق لأن الاجتهاد في مثل هذا المقام ليس له حدود، ولربما قرأ أحد القراء جوابي فقال: "لو كنت أنا المسؤول لأجبت السائل بكذا"... ثم يكون جوابه أفضل من جوابي حقاً وأقرب إلى الصواب.

أسأل الله أن ينفع الناس بما قدمت وأن أجده في الميزان يوم تُوزن الأعمال.

مجاهد

محرم ١٤٤٧

حزيران ٢٠٢٥

مُشكلات زوجيّة

استشارة في الحبّ

أنا في الثلاثين من العمر وأعيش في مجتمع محافظ. منذ خمس سنوات أحببت فتاة بصدق وبنية الزواج، وتعلقت بها رغم أنني لا أخرج معها ولا أجلس معها ولا أتحدث معها هاتفياً. كل ما هنالك أنني رأيته مرتين وتكلمت معها، وبادلتنى الحب، لكنها في كل مرة تخبرني بأعذار لكي أبتعد عنها. لا أعرف ما هي الأسباب وهي لا تريد البوح بها رغم إصراري عليها. تكرر هذا الأمر ثلاث مرات، وبعدها تعود إليّ بقولها: "كنت أختبرك" أو "كنت أنتقم منك". وأنا صدقاً لا أدري لماذا الانتقام من لا شيء لأنني لم أسبب لها أي أذى أو متاعب. في المرة الأخيرة وافقت على الزواج، لكن ظروفني كانت صعبة بسبب وفاة أخي (وهي تعلم ولكنها لا تريد الانتظار) فعادت إلى نفس المنهج. فما الحل؟

هذا سؤال سهل وهو استشارة في الزواج، أما الحب الذي وُضع عنواناً للسؤال فإنه إضافة لا لزوم لها، أي أنه من باب «الحشو» الذي يمكن حذفه، بل الذي ينبغي حذفه. لماذا؟ لأنه غشاء يعيق الرؤية،

أو أنه سَكْرَةٌ تُضعِفُ التفكيرَ ، وفي الحالتين تتضاءل فرصة الاهتداء إلى القرار الصحيح .

هل تستطيع أن تقود سيارتك لو أن عينيك عُصِبَتَا بغشاء ، أو هل يفعل ذلك من ذهب ببعض عقله مُسَكَّرٌ من المسكرات (عافانا وعافاك الله من المحرّمات)؟ أما إثبات إضعاف الحب لَمَلَكَةِ التفكير فليس هنا محلّه ، وقد أفاض فيه أطباء القلوب -من الشعراء- قديماً وأطباء النفوس في العصر الحاضر ، فراجع المسألة في كتب الأدب إن شئت أو في كتب الطب النفسي .

ما يهمنا تأكيدُه الآن هو أن للحب سَكْرَةٌ تعيق قدرة المُحِبِّ على اتخاذ القرار الصحيح ، فأخرج نفسك من هذا الشعور وتحرّر من أسر الحب ساعة تخصصها للتفكير والموازنة ، وتوجه إلى الله بالدعاء وبالاستخارة ، وسوف يهديك الله بإذنه إلى ما فيه الخير لك .

أما الأساس الذي ينبغي أن تقيم عليه تفكيرك والميزان الذي تزن به المسألة فلا يخلو من تقدير للعاطفة ، فإن المرأة التي استفزّت نفسك فأخرجت منها مكنونَ عواطفها ينبغي أن تكون أصلح لك

زوجةً من سواها ^(١)، لأن الانسجام الروحي والقلبي من شرائط الحياة الزوجية السعيدة. هذا كله صحيح، لكنّ الذي ليس صحيحاً هو أن العواطف التي تحس بها الآن هي بالضرورة تعبيرٌ صادق عن انسجام نفسي وروحي، لأنها تختلط -في مثل حالتك- بأخلاق تشوبها حتى ليصعب عليك التمييز بينها، بعضها من نوع الانجذاب الذي يكون بين الجنسين، وهو أمر لازم بين كل ذكر وأنثى من الإنسان أو من الحيوان، أي أنه «انجذاب بيولوجي» بحث لا علاقة له بالانسجام الروحي الذي نتحدث عنه.

وثمة نوع آخر من الشوائب والأخلاق قد لا تحس به بوضوح في وعيك، لكنه كائن في

(١) فائدة لغوية: بعض الفصحاء يخطئون كلمة «الزوجة» ويصرون على أن يقول الرجل: "هي زوجي". وهذه هي اللغة العالية، لكن «الزوجة» لفظة صحيحة، وهي من ألفاظ الفقهاء المشهورة، وذكر بعض اللغويين أنها لغة أهل نجد (أي في عصر التدوين اللغوي وليس في الزمن الحاضر). وأنا أفضل استعمال كلمة «الزوجة» دائماً لمنع الالتباس ولتوضيح المعنى المقصود، ولنا حجة في أنها لغة صحيحة في بعض أحياء العرب.

اللاوعي ، وهو الرغبة في المفقود أو في الممنوع ، فإن النفس تميل إلى ما مُنعت منه ، وبمقدار المنع يزداد الشوق ، وهذا أمر معروف عند النفسانيين والحكماء . واسمح لي أن أقول أنني أغلّب -في ضوء ما سقته في رسالتك من تفصيلات- أن حبك من هذا النوع ، وإلا فما هذه العاطفة الخارقة التي تنشأ بين اثنين التقيا مرتين في خمس سنوات؟!



الذي أقترحه عليك -إذن- هو أن تصفّي مشاعرك من شوائبها لتمييز العاطفة الصادقة وتبذ سواها من المشاعر الكاذبة التي تتصورها حباً وما هي بحب . على أن نتيجة هذا الاختبار لن تكون هي العنصر الحاسم في قرار الزواج ، فإن للعاطفة دوراً في اتخاذ هذا القرار كما قلتُ قبل قليل ، نعم ، لكنه دور ضئيل ، فما هو المعيار الأكبر الذي يُبنى عليه قرار الزواج؟

إنه الدين أولاً ، فإذا لم تكن الفتاة التي تتحدث عنها ذات دين فدع عنك طريقاً محفوظاً بالمتاعب ولا يوصل إلى راحة ولا إلى أمان ، اقطعه من اليوم الأول وفتش عن طريق سواه . هذا هو المعيار الأول

والأكبر، وبعده الكفاءة والتماثل في المستوى الاجتماعي، ثم التقارب في المستوى الثقافي والعلمي.

هذا كله من باب الشروط العامة التي تصلح أساساً لكل زواج، وبعده تأتي مجموعة غير قليلة من الشروط الخاصة التي يعرفها كل مقبل على الزواج في نفسه، من شاب أو فتاة على السواء، فإن للبنات رغبات وطلبات في شريك حياتها كما أن للشباب مثلها في شريكة حياته، وهذه يعرفها كل واحد من نفسه ولا يتفق فيها كلها اثنان، وتدخل فيها الصفات الشكلية (من طول أو قصر، ونحافة أو سمن، وسُمرة أو شُقرة، إلى غير ذلك من الأشكال والألوان)، والصفات الشخصية (من نشاط وكسل، وبخل وكرم، وتسرع وأناة، وحلم وانفعال، وغير ذلك من الصفات الشخصية والنفسية).

فانظر إلى ذلك كله بعد الدين أولاً، والكفاءة والتقارب الاجتماعي والثقافي ثانياً، وفي ذيل القائمة تأتي مشاعرك وعواطفك الحالية الآنية، فإن هذه تتغير مع الوقت وما سبقها كله (أو أكثره) ثابت لا يتغير.



ويبقى أخيراً تنبيه لا بد منه، فإن العاقل من الناس ليس الذي يقع في الحفرة ثم ينجح في الخروج منها، بل الذي يتقي السقوط فيها ابتداءً، فإذا مشى أبصرَ موضع قدمه ولم يضعها في غير البقعة الثابتة من الأرض. ولو أنني كنت مكانك لترددت ملياً أمام ما ذكرته من ردّها عليك المرّة بعد المرة، فما معنى «الاختبار» وما الداعي إلى «الانتقام» وأنتما لا رابطة بينكما ولا علاقة، لا ممّا يرضاه الشرع ولا ممّا يأباه، وإنما هما لقاءان اثنان وبضع كلمات أو بضعة أحاديث متفرقات لا غير؟!

فتفكّر في ذلك وادرس شخصيتها دراسة جيدة، ولا تتسرع بقرار قد يجرّ عليك تبعاً ومرارة يصاحبانك العمر كله.

وفكّر الله وهداك إلى ما فيه صلاحك ورضاه، وجعلك من سعداء الدارين.

* * *

بَتُّ الرَّأْيِ فِي خُطْبَةٍ مَعْلَقَةٍ

أنا شاب في الخامسة والعشرين ، متدين مستقيم حافظ لكتاب الله . وقد ذهب أبي ليخطب لي ابنة خالتي من أبيها ، فقال لأبي أنه يريد لها أن تكمل دراسة الجامعة ، وعندما استفسرت أُمِّي من خالتي أخبرتها أنها لا تعلم شيئاً عن الموضوع (علماً بأن خالتي كانت تردّ كثيراً من الخاطبين من أجلي وكانت تخبر أُمِّي بذلك) . وعندما سألت زوجها أخبرها أنه خائف على ابنته من أن أحرّمها شيئاً من حقوقها لأنني قد أكون متشدداً . وقد أخبرت خالتي أُمِّي بهذا الموضوع ، وكانت متأثرة جداً ، حتى إنها بكت من هذا الردّ الذي أتى من زوجها . علماً بأن هذه الفتاة صاحبة خلق ومعروفة بطيبتها . والآن أنا متردد : هل أتقدم مرة ثانية عن طريق أُمِّي بعد أن مرّ على هذا الموضوع أكثر من عشرة أشهر ؟ علماً بأنني أكملت تأثيث المنزل وأنا أبحث عن فتاة أخرى .

لا أرى فيما عرضته هنا مشكلة تحتاج إلى حل ، بل هي حالة تحتاج إلى قرار تتخذه أنت دون سواك .

عليك أولاً أن تتأكد من مناسبة الفتاة لك، وهذا أمر لا يستطيع أن يقرره إلا أنت، على أن أمك تستطيع أن تساعدك فيه. استعرض في ذهنك ما تعرفه من صفات ابنة خالتك هذه وادرس شخصيتها جيداً، واستعن بأمك لتكمل الصورة وتقدم لك من التفاصيل ما لا تعرفها، فالنساء أقدر من الرجال على استكشاف مثل هذه الأمور، فإذا غلب على ظنك أنها ملائمة من كل الوجوه (أو من أكثرها على الأقل) فأقدم وتوكل على الله.

أما الأسلوب الأفضل لتنفيذ المشروع فهو على مرحلتين:

المرحلة الأولى تجتمع فيها أمك بأختها لتناقش الأمر معها، فتعرض لها ما عندك من تصورات عن الزواج وتحدثها عن شخصيتك وعن الشروط التي تريدها في زوجتك، وكلما كانت أمك أصرح في حديثها وأوضح كلما كان حظ الزواج من النجاح والاستمرار أكبر.

بعد ذلك ستهيئ خالتك الجو المناسب وتحدث زوجها، وعندها تبدأ المرحلة الثانية التي سيتولاها الرجال، وفيها يتوجه أبوك إلى أبي الفتاة،

وَيَحْسُنُ أَنْ تَرافقه أَنْتَ لتوضيح ما ينبغي توضيحه من تفصيلات. فإذا كان زوج خالتك متخوفاً من أمور محددة فينبغي أن يناقشها معك وأن يسألك السؤال المباشر الصريح، وعليك أنت أن تجيبه الجواب الصادق الصحيح. وهذا اللقاء سيكون حاسماً ونهائياً، فإما أن يقتنع الرجل ويرضى بك زوجاً لابنته فتتفقون على التفصيلات، أو يجد غير ذلك ويعطيك وأباك جواباً نهائياً بالرفض، وعندئذ يُغلق ملف هذه القضية وتنطلق أمك بحثاً عن فتاة أخرى ملائمة.

هكذا يتعامل الناس مع أمثال هذه المسائل، أما تركها معلّقة هذه المدة الطويلة كلها فليس فيه وجه صواب، وما كان ينبغي لحالة كهذه أن تبقى عشرة أشهر بلا حسم. وأسأل الله -ختاماً- أن يوفقك إلى الزواج بمن فيها صلاح دينك ودنياك.



الزواج بمساعدة مواقع التواصل الاجتماعي

أعجب صديقي بفتاة في وسائل التواصل الاجتماعي وفكر بأن يطلب منها رقم هاتف أهلها حتى يتقدم لها، مع العلم بأنه لا يعرفها ولا يعرف أهلها وإنما هو مجرد إعجاب من بعيد، وهو يخشى على سمعته أو نظرة الفتاة وأهلها إليه لو تقدم بهذه الطريقة، فماذا يصنع؟

رأيت أن هذا الزواج يفتقر إلى أدنى مقومات النجاح. قد ينجح بضربة حظ، لكن الاحتمال ضئيل، لذلك لا أشجعه أبداً.

هل يقبل صديقك أن يضع كل استثمارات حياته وكل ما يملكه في شراء بيت شاهد صورته في منشور فيسبوك؟ إن قرار الزواج أهم من أي بيع وشراء لأنه استثمار في علاقة أبدية، فلا ينبغي أن يُبنى إلا على معلومات وثيقة يحتاج إليها الطرفان، كل واحد عن الآخر، لكي يتخذ القرار الصحيح بالرفض أو الإيجاب.

وليس معنى هذا أن يترك المشروع من أصله، بل أن يمشي فيه بالطريق الصحيح، فيبحث عن

أقارب البنت أو من يعرفها ويعرف أهلها، ثم يُمضي وقتاً طويلاً في السؤال والتقصي حتى يتعرف إلى شخصيتها وطباعها ومستوى العائلة الاجتماعي، فإذا غلب على ظنه أنها مناسبة من كل الوجوه فإنه يتصل بأهلها عندئذ بطريقة ما، إما بالطريقة التقليدية بأن يرسل أمه لزيارة أمها، أو عن طريق بعض الوسطاء، ويحاول أن يستشف رأيهم فيه لو تقدم لخطبتها... إلى آخر هذا الطريق المعروف.

وفق الله صديقك وجمعه ببنت الحلال التي تناسبه ويناسبها وتسعده ويسعدها، وإن كنت أنت أيضاً عزباً فلك دعائي بأن يرزقك الله الزوجة الصالحة.

* * *

الزواج من طبقة مختلفة

هل أخطب فتاة من طبقة اجتماعية فقيرة وأنا
بحالة اجتماعية متوسطة، وكيف أعرف أن
الفتاة وأهلها يطمعون في مالي؟

أنا لا أنصح بزواج اثنين من طبقتين مختلفتين
متباينتين اجتماعياً، فمثل هذا الزواج يُتعب الاثنين،
سواء أكان الزوج هو الأعلى والأغنى أو كانت
الزوجة.

وبالتأكيد ليس المقصود باختلاف الطبقات
هو مجرد التفاوت في الثروة، فالناس يتفاوتون
دائماً، إنما القصد هو «الطبقة الاجتماعية» التي
ينتمي كلاهما إليها، وفي هذه المعنى اشترط الفقهاء
(ولا سيما الحنفية) الكفاءة في الزواج، ويقصدون
التقارب الاجتماعي.

* * *

هل أتزوج امرأة تكبرني في السن؟

منذ أكثر من عام تعرفت بامرأة تكبرني بسنوات، وهي مطلقة ولها ولدان وذات سمعة طيبة وخلق ودين وحياء، وقد وجدت فيها كل ما أتمناه في الزوجة التي أبحث عنها ورغبت بالارتباط بها، إلا أن أُمِّي رفضت ولم توافق على أن تخطبها لي. وبعد التفكير والاستشارة قابلت أهلها وتقدمت بطلبها فوافق الأب، وتم العقد دون أن أخبر أهلي، وعندما عرفوا غضبوا وطالبوني أُمِّي بطلاقها. ما هو الحكم الشرعي في هذه الحالة: هل للوالدين الحق في التحكم بزواج الابن أو إجباره على طلاق زوجته التي اختارها وارتبط بها؟

هذا السؤال وأمثاله يُجاب عنه من ناحيتين: جواباً فقهيّاً وجواباً اجتماعيّاً، وواجب المستشار أن يغطّي الناحيتين معاً في جوابه.

من الناحية الشرعية موقفك سليم وعملك صائب، فالشرع لا يضع قيوداً عُمرية على أيٍّ من طرفي الزواج ولا يشترط أن يكون أحدهما أسنّ من الآخر، واختيار شريكة الحياة حق مطلق للرجل

البالغ العاقل لا يحق لغيره أن يمنعه منه أو يتحكم فيه، ولا حتى الأب والأم، فلا تُعتبر مخالفة أمرهما وزواج الرجل بمن يريد ولو لم يوافقا عليه -أحدهما أو كلاهما- لا يُعتبر هذا عقوقاً أبداً بإذن الله، لكن لا ريب أن استئذان الوالدين والحصول على موافقتهم ورضاهما أبرُّ وأدعى إلى تحقيق الوئام والانسجام بعد الزواج.

هذا من الناحية الشرعية، أما من الناحية الاجتماعية فأقول لك ما قاله النبي ﷺ لجابر في الحديث المشهور (لَمَّا سَأَلَهُ فَعَرَفَ أَنَّهُ تَزَوَّجَ ثَيِّبًا، أَي مَطْلَقَةً): «هَلَّا بَكَرْتَ دَاعِبَهَا وَتَدَاعَبَكَ». بمعنى التوافق في السن والتجربة والاهتمامات.

فأنا أرى -عن تجربة ونظر طويل- أن الزواج على الصورة التي وصفتها يحمل القليل من أسباب النجاح والكثير من أسباب الفشل، أولاً لأن من مقومات الزواج الناجح أن يكون الزوج هو الأسن وهو الأكثر تجربة وقدرة على قيادة سفينة الأسرة في لُجّ الحياة، وهذا من التكافؤ المعتبر شرعاً، وهو مما يسمّيه علم النفس الاجتماعي المعاصر «التوافق الزوجي».

وثانياً لأن الزواج علاقةٌ بين أسرتين وليس
علاقة بين شخصين فقط، فأنت يَسْعُك أن تستقل
بقرارك ولا تؤاخذُ شرعاً، ولكنك لن تستطيع
الاستقلال عن أسرتك اجتماعياً، وإذا بقيت زوجتك
منبوذة مرفوضة عندها فسوف تعاني أنت وزوجتك
وأولادك على المدى الطويل وتمتلئ حياتك
بالمغصّات.

تقول: ما الحل؟ هل أتركها؟ لو اقترحت
عليك هذا الاقتراح لاستثقلته، لذلك لن أفعل، بل
سأنصحك بأن تمنح نفسك فرصة لاختبار مشاعرك
وللحكم على هذه التجربة من منظور واقعي. هذا
الأمر مطلوب من أجلك ومن أجلها أيضاً، فكلكما
اليوم تحت تأثير العاطفة الفيّاضة، والعاطفة القوية
قد تحجب الرؤية الصائبة.

أقترح أن تبقى معها في الوقت الحاضر، وأن
تطيل فترة الخطبة وتكثر من زيارتها والاختلاء بها
والخروج معها في مشاوير طويلة (لا سيما إذا كانت
لك سيارة خاصة). حاول أن تتقمص دور الزوج
الدائم واطلب منها أن تحاول هي أيضاً تقمّص
دور الزوجة، وتخيّلا حياتكما معاً اليوم وبعد سنة

وبعد عشر سنوات وعشرين وثلاثين... ولتكن فترة الاختبار هذه بطول ستة أشهر، أو حتى بطول سنة كاملة، فإنها ستكون فترة كافية لتتأكدا من صواب هذا القرار أو خطئه، فإذا وجدتماه قراراً صحيحاً وازداد يقينكما بنجاح هذه العلاقة فامضيا فيها على بركة الله، ثم ابذل جهدك لإصلاح العلاقة مع أمك وأهلك حتى يقبلوا بالوضع الجديد ويرضوا عنه لكيلا تعيشوا في مشاكسات وخلافات دائمة، وأرجو الله أن تنجح في محاولتك إذا بذلت ما يكفي من الحكمة والمثابرة. وإذا ترجّح لكما أن العلاقة لن تستمر بالنجاح المأمول فالافتراق المبكر خير من إنهاؤها بعد سنوات وأولاد.

وفقكما الله وأرشدكما إلى الصواب.



أهم صفات الزوج الجيد والزوجة الصالحة

سألني شاب صالح مقبل على الزواج، قال: إن المرء لا يجد في زوجة المستقبل كل الصفات التي يتمناها، فما الصفة الجوهرية التي ينبغي للشاب أن يحرص عليها ولا يفرط فيها؟

سألني عن الشاب الباحث عن شريكة حياة، والجواب له ولشريكة حياته واحد، فالصفة التي ينبغي له الحرص عليها في فتاته هي الصفة التي ينبغي للفتاة الحرص عليها في فتاها، وهي «الجوهر النقي» أو «المعدن الأصيل».

وما هو؟ إنه حقيقة المرء وجوهره لا غلافه ومظهره، وهذه الطريقة في الحكم على الإنسان تخالف المنهج الشائع الذي يستخدمه عامة الناس في الحكم على الناس.

فإن أكثر المتدينين ينظرون -إذا أرادوا الزواج- إلى ظاهر المرأة التي يخطبون: صلاتها وصيامها وحجابها. وأكثر المتديّنات يحكمن على الشاب الخاطب من مظهره: لحيته ولباسه وحرصه على صلاة الجماعة في المساجد. وهذا كله هو المظهر،

فإذا صلح ولم يصلح الجوهر فهو صلاح زائف تبدّد
الأيام وتكشف عن المعدن الحقيقي، وأيّما شريك
حياة كان معدنه رديئاً أحال حياة الشريك الآخر إلى
معاناة لا تنتهي إلى آخر العمر.

وما جوهر الإنسان؟ إنه الخلق النبيل والخير
الأصيل الذي يحيل صاحبه إلى معدن ثمين وجوهر
صقيل، وهو الذي أوضحه النبي ﷺ بعبارة جامعة
مانعة، لما سأله أصحابه: أي الناس أكرم؟ قال:
«أتقاهم لله». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال:
«فعن معادن العرب تسألونني؟ خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا». قال النووي في
شرحه على مسلم: "معناه أن أصحاب المروءات
ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا فهم خيار
الناس". وقال ابن حجر في «فتح الباري»: "شبههم
بالمعادن لكونهم أوعية الشرف، كما أن المعادن
أوعية للجواهر".

هذا ما أقصده بالجوهر. إنه «المعدن» الذي منه
يتألف الإنسان، وكما في معادن الأرض رصاص
ونحاس وذهب وألماس فكذلك الأمر في معادن
الناس.

فلا تغرّنك لحية المرء وصلاته في الصف الأول
مع الجماعة إذا وجدته يظلم ويأكل الحقوق، فإنه
من معدن سيّئ. ولا تغرّنك المرأة حسنة الحجاب
سابغة الجلباب كثيرة القيام والصيام إذا كانت تقسو
على الخادّات وتسيء إلى الجارات، فإنها من
معدن سيّئ.

ولو أردتُ تعريفاً جامعاً للجوهر النقي والمعدن
الأصيل لقلت أنه تقوى الله والخلق الحسن، فإن
من يتقي الله حقّ تقاه لا يكذب ولا يغش ولا يظلم
ولا يحقد ولا يتكبّر ولا يؤذي الناس، وإن صاحب
الخلق الحسن لا يعرف لسانه البذاءة ولا تمتدّ يده
بعدوان، وهو حييّ رفيق رحيم حلیم كريم.

* * *

اضطراب العلاقة بعد وصول الأطفال

أنا أحب زوجي وهو يحبني، ولكن بعد ولادتي بتوأم تغيرت حياتنا فأصبح ينشغل بعمله كثيراً وأنا مشغولة في البيت والأطفال، وآخر اليوم أكون متعبة فأترك زوجي وأنا على الفور. فماذا تنصحنني؟ كيف أحافظ على زوجي؟

إن وصول المولود الأول فرحة معجّلة وكربة مؤجّلة، هذا ما تعلنه أكثر كتب التربية التي تنبّه الأمهات إلى عدم المبالغة في الانشغال بالوافد الجديد (الطفل) ونسيان الوافد القديم (الزوج) وتنبّه الآباء أيضاً إلى ضرورة استيعاب الظروف الجديدة واحتمالها.

شئنا أم أيّنا لا بد أن نعترف بأن الحياة بعد وصول الطفل ليست كالحياة قبل وصوله، فالمسؤوليات تزداد والحرية تنقص، واستمتاع الزوجين بحياتهما الخاصة تبدأ بالانحسار. ربما من أجل هذا السبب، وبالتأكيد من أجل سبب آخر أهم بكثير، أميل إلى نصيح كل عروسين بتأخير البدء بمشروع الإنجاب ستة أشهر على الأقل، أي أن

يجتهدا في عبور مرحلة الأمان والاختبار التي أقترح أن لا تقل عن نصف سنة قبل أن تحمل الزوجة، وهذا أمر آخر غير الذي كنا نتحدث فيه، لكنها رسالة أحببت إرسالها لعلّ متزوجين جدداً يقرؤونها فتكون لهم فيها فائدة.

هذا كله والقادم الجديد طفل فرد، فكيف إذا كانا اثنين كحالتك؟ أعانك الله. على أنك تستطيعين -بإذن الله- التوفيق بين الطرفين ببعض الحكمة والإدارة الجيدة للوقت. ومهما كانت الظروف فلا تسمحي أن يكون زوجك هو الخاسر الأكبر، فإن استقرار العلاقة بينكما هو مفتاح استقرار البيت وهو في المصلحة القريبة والبعيدة للتوأمين^(١).



(١) فائدة لغوية: يقال للطفلين يولدان معاً أنهما «توأم» وأنهما «توأمان»، كلا اللفظين صحيح، والواحد توأم والواحدة توأم أو توأمة. فإن زادا إلى ثلاثة وأربعة صاروا ثلاثة توأم وأربعة توأم.

علاج مقترح لكسل الزوج

تستدعي ظروف عمل زوجي تنقلنا الدائم وتغييرنا للمساكن ، ربما مرة كل سنتين . المشكلة التي أعاني منها أن البيت يبقى شهوراً طويلة في حالة فوضى بعد كل انتقال لأن زوجي يؤجل دائماً إنجاز ما عليه من تركيب قطع الأثاث المفكك أو تعليق الستائر واللوحات وغير ذلك من الأعمال الضرورية لاستقرار البيت .

أحاول كثيراً إقناعه وأتجادل معه ، فيتعذر بأنه يصل إلى البيت متعباً ، ونختلف دون أن نحقق أي فائدة . إنه لا يبالي لأن عمله يبعده معظم الوقت عن البيت ، أما أنا فأواجه الفوضى وأعيش معها كل الوقت . كيف أحل هذه المشكلة دون مزيد من الجدل والشجار ؟

أنت محقة وزوجك محقّ . إنه يتعب في عمله خارج البيت فيعود إليه حالماً بالراحة والاسترخاء ، ولكن ما ذنبك أنت لتعاني من الفوضى والاضطراب في البيت حتى تأتية الفرصة للترتيب والترتيب ، وقد يطول بك الانتظار شهوراً كما يبدو من رسالتك ؟

أقترح عليك أسلوبيين للعلاج:

(١) حاولي أن تنجزِي بنفسك كل ما تستطيعين إنجازَه من هذه الأعمال، وليكن ذلك في أثناء غياب زوجك عن البيت، وتعمدي أن تنفّذي بعض العمل بطريقة غير صحيحة (مثلاً علّقي ستارة مائلة أو ركّبي كرسيّاً بظهر مقلوب).

سيعود زوجك إلى البيت فيفاجئه اكتشافُ أنك نجحت في بعض الأعمال، وهذا سيؤدي إلى إحدى النتيجتين التاليتين: إما أن يسترخي ويُسرّر لأنك وفرت عليه عناء العمل (حسناً، لقد تم المطلوب ونُفّذ العمل على أي حال) أو أن الحماسة ستدبّ فيه لأن مكانته -شخصاً ضرورياً لا يُستغنى عنه في هذه الأعمال- قد هُددت، وهو سيثبت أنه الوحيد الذي يستطيع تنفيذ العمل بشكل صحيح (فلا يعلق ستارة مائلة ولا يركّب كرسيّاً بظهر مقلوب) وسوف يشمر عن ساعديه ويحضر عدّته ويبدأ بالعمل. هذا الاحتمال الثاني هو الأغلب، صدّقيني، فأنا أعرف الرجال جيداً.

(٢) قد لا تحبين القيام بأي عمل بنفسك أو أنك فعلاً لا تستطيعين ذلك. في هذه الحالة لا

مناص من الاعتماد على زوجك ليقوم هو بالعمل المطلوب، فاطلبي منه العمل بالأسلوب المناسب في الوقت المناسب: تخيري وقتاً يكون فيه أقلّ تعباً من المعتاد، في يوم عطلة مثلاً، واطلبي منه العمل بلطف وكياسة. ويمكنك أن تعينه فتشجعيه على المبادرة، فقد طلب ذو القرنين من القوم الذين طلبوا منه بناء السد أن يعينوه: ﴿قال ما مَكَّنِّي فيه ربي خيرٌ، فأعينوني بقوة... قال آتوني زُبَرَ الحديد... قال انْفُخُوا... قال آتوني أَفْرَغْ عليه قِطْرًا﴾.

فجربي أن تأتي لزوجك بكل ما يلزم من عُدَد وأدوات وأن تضعي بين يديه كل القطع اللازمة وأن تُقَرَّبِي السِّلَمَ (لو كان لازماً) وتمدي وصلات الكهرباء، فكل ذلك سيشجعه على البدء بالعمل، والمرء يستسهل الإكمال بعد الشروع.

وفي كل الحالات: لا تنسي أن تشكريه بعد الفراغ من العمل وتحرصي على إظهار الرضا والامتنان. إن هذه اللمسة الجميلة إنما هي «دفعة مقدّمة» للمرات المقبلة، لأن تلك لم تكن المرة الأولى التي احتجت فيها إلى خدمات زوجك ولن تكون -على الأرجح- المرة الأخيرة.

(٣) وماذا لو أخفقت الطريقتان السابقتان؟
ستبقى مشكلة بسيطة لا تستحق الجدل والخصام،
فابحثوا عن شركة خدمات من النوع الذي ينجز مثل
هذه الأعمال بمقابل مادي معقول فينتهي العمل
بكلفة معقولة في وقت قصير، ثم لتكن هذه هي
طريقة حل المشكلة في المستقبل مع كل انتقال
جديد.

* * *

حياة مستحيلة

أنا شابٌ مغتربٌ متدينٌ في الخامسة والعشرين ،
أدرس في إحدى الجامعات خارج بلدي في
مرحلة الماجستير في أحد فروع الدراسات
الإسلامية. قبل مدة دُلّني بعض أصحابي على
عائلة تقيم في مدينة أخرى ، وهي من بلدي
نفسه ، وقالوا أن لها بنتاً متدينة خلوقة حافظة
للقرآن. فخطبتها وتزوجنا ، ولم تكن أحوالي
ميسورة فأعاني أخوها بقرض يغطي نفقات
الزواج.

شعرتُ نحو زوجتي بحب جارف منذ البداية ،
لكن سرعان ما بدأت بيننا المشكلات بعد
الزواج ، فقد كانت تفوتني أحياناً بعض
الفرائض في المسجد فتتبرّم بشدة وتقسو عليّ
بالتعليق ، ثم لاحظتُ عليّ بعض التقصير في
حضور المحاضرات الجامعية فأنبّتني وطالبتني
بشراسة شديدة بالانتظام وعدم التغيب ، حتى
جاء يوم هددتني فيه بأن تتركني ما لم أنتظم
في الدراسة. صدمني كلامها فأعلنت لها
أنني موافق على الانفصال ، فبكت وأعلنت
اعتذارها وتصافينا. لكن الحال لم يستمر لوقت

طويل ، فكلما فاتتني صلاة في المسجد تعود إلى التذمر وتكرر: إما أن تتغير وإما أن يذهب كل منا في سبيله! فقلت لها ذات يوم: لعنا لا نصلح للحياة معاً، فليذهب كل منا في سبيله. فبكت وطلبت مني أن أسامحها.

المشكلة الأهم هي أنها استمرت بالإعراض عني خلال فترة زواجنا التي استمرت شهرين، فلم يحصل بيننا أي لقاء زوجي طوال تلك الفترة، فكلما اقتربت منها كانت تتمنّع وتدفعني وترجونني، بل تستجدي أن أوّجل مقاربتها، فكنت أستجيب لرغبتها وأسأرها وأكفّ عنها إلى وقت آخر.

بعد ذلك جاءنا أخوها زائراً في زيارة مفاجئة، فطلبت مني أن تذهب معه لزيارة أهلها فلم أمانع، إلا أنني فوجئت بأنها طلبت من أخيها أن يحمل إلى السيارة متاعها كله. فاستغربت، وزاد من استغرابي أن أخاها قال وهو يغادر: متى اتفقتما فإنني أعيدها إليك!

بعد أيام أرسل لي أهلها رسالة يطلبون الطلاق! وعلمت أنهم يرفضون الصلح ويشهرون بي ويصفونني بأبشع التهم، فيشيعون عني أنني

أتهاون في الصلاة وأنني أقرأ روايات هابطة!
وقد أغلقوا جوالها حتى لا يحدث بيننا أي
اتصال. فهل أطلقها أم أرعى ودّي لها وأحاول
استرجاعها؟ وهل ترى أن الحياة ستطيب لي
معهما بعد ما جرى؟

ما أيسرَ مشكلتك وما أسهلَ حلّها! لقد صنعت
خيراً حين أسهبتَ في بيان المشكلة لأنّ الوضوح
والتفصيل يساعدان على تقديم المشورة النافعة بإذن
الله، بخلاف المعلومات القليلة والصورة الغامضة،
فهما يتركان المستشار في حيرة فيخطئ من حيث
يريد الصواب، أو يقدّم من المقترحات والحلول ما
يضر ولا يفيد.

لو كنت مكانك لسجدت لله سجدة شكر قبل
المضيّ في قراءة هذا الجواب، فإن تسعاً وعشرين
مشكلة من كل ثلاثين مشكلة تصلني تثير موجعي
لسبب واحد، فإنني أتساءل بمرارة: لماذا تأخر
صاحب المشكلة في البحث عن العلاج؟

إنهم لا يصلون إلى السؤال والاستشارة إلا
وقد استشرت العلة وتفاقم الخطب حتى ليستعصي
على العلاج، وغالباً لا تُعالج أمثال تلك المشكلات

إلا بالبتر، ويبقى الأولاد ضحايا كل ملحمة زواج فاشل. فاحمد الله على أنه دَلَّك على الخطر وكشف لك الخل منذ الأيام الأولى، فأنت اليوم كالمريض الذي كشف الأطباء سرطانه وهو في أولى مراحل، حين يمكن لهم أن يزيلوه بلا مضاعفات ولا آلام، أو بأقل القليل منها، ولو تأخر اكتشافه لحقَّت بالعلاج الآلام ولتضاءلت احتمالات السلامة. حماك الله من العلل والأمراض.



الكلمة الفصل في هذه المشكلة: هذه الفتاة مُتعبَة وأهلها متعبون، وما رأيته منها ومنهم إنما هو «العينة المجانية»، ولو أنك غامرت بالمضي في هذا الزواج لحكمت على نفسك بشقاء العمر. أنا أحكم بمقدار ما سمعت، وما سمعته ينبيء عن حكمة قليلة (وكدت أقول معدومة)، ويدل على ضحالة في التفكير وتسرع في الحكم وسوء بالظن، ويبدو أن في الفتاة استعداداً فطرياً للمشاكسة والمعاندة ورغبة كامنة في التسلط، وأهلها من النوع الذي يميل إلى التدخل، وكلهم سَمَّاعون ومتسرعون... وهذا الذي عددته وفصلته آنفاً يكفي بعضه ليحيل الحياة إلى كبَد

ونكد وعناء، فكيف إذا اجتمع كله معاً؟

أما الدين الذي يبدو أنهم يتمسكون به ويظنون به أنهم من خيرة الناس فهو دين مقلوب، تماماً كالمنظار الذي تضعه على عينك مقلوباً فيصغر الكبير ويبعد القريب. ألا ترى أنهم يجعلون الصغائر كبائر والكبائر صغائر؟ الغيبة وشهادة الزور وتخريب البيوت في نظرهم أمر يسير، وقراءة روايات هابطة كبيرة توجب الطلاق؟ هذه أضحوكة في نظر العقل وجريمة في مقياس الدين.

وما للفتاة ولجامعتك: حضرت فصولها أم لم تحضر؟ وهل يفرق الدين بين رجل وامرأته إذا كان مواظباً على الصلاة غير أنه يصلي بعض الفروض في بيته؟ لها أن تنصحك ولها أن تحثك، ولو كانت عاقلة لدفعتك بالمحبة وحرّكتك بالتشجيع، ولكنها لا عقل لها ولا حكمة عندها؛ إنها لا تملك من العقل والحكمة ولا ربع قيراط! وكل ما سقته من اتهامات على لسان القوم لا قيمة له في فسخ زواج وتدمير أواصر علاقة زوجية. حتى لو صحّ كله فما أراك جاوزت حدود اللّم ولا أنت قارفت المحرّمات فضلاً عن كبائر الذنوب، والدين لا يفرق

بين زوجين بذنب أو بحرام، إنما يفرق بينهما بكفر
أحدهما لا سمح الله.

فإذن لا دورَ للدين في موقف زوجتك وأهلها،
إنما هو الجهل وضيق الأفق وصعوبة المعشر.

* * *

ثم إنك تلوم نفسك لأنك كنت رفيقاً بفتاتك
فأخّرت دخولك مجاملةً لها ومراعاةً لخاطرها،
وأنت مخطئ، لا في عملك النبيل الذي عملته بل
في لوم نفسك عليه، فلو أن كل واحد من الناس لام
نفسه ونصح غيره بمثل ما توحى به شكأتك لانقرض
المعروف ورُفع التراحم بين الناس.

لا، ما أخطأت ولا أسأت بل أصبت وأحسنّت،
وهذا نُبلٌ منك وكرمٌ تُشكر عليه، فإن من الرجال من
يحيل هذه العلاقة الإنسانية الحميمة إلى علاقة بهيمية
لا مشاعر فيها ولا حساب للطرف الآخر، وهؤلاء
يسيئون إلى صوابهم وإلى أنفسهم، لأنهم ييغضون
إليهّن المقاربة الزوجية فيعرضن عنهم من بعدُ
ويتهربن من لقاءهم، ويعيش الزوجان العمر الطويل
في علاقة حسية شكلية لا روح فيها ولا مرحمة.

هذه نصيحتي: انج بنفسك. وافق على الطلاق
واقبل طلب القوم بالفراق، ولكن احرص على
استيفاء حَقِّك من غير ظلم، وأنت عالم بالشرع فلن
أعلمك ما تعلم. «لِتَرُدَّ عليك حديقَتك». أنت غرمت
الكثير لتتزوج زواجاً صحيحاً وهم أرادوا نقض هذا
الزواج، فليردّوا لك ما أنفقت، وإذا كان كله ديناً
حملة أحد أحمائك فليقرّ أمام القاضي بالتنازل عنه
ومسامحتك به كاملاً.



أما «الحب» الذي ذكرته فثق أنه ليس بالعشق
الذي تظن. إنّ فيه قدراً من المودة والحب بلا شك،
لكنّ أكثره انجذابٌ غريزي مبرّر ومفهوم، فأنت
عشت عمرَك -كما يبدو من رسالتك- عفيفاً نظيفاً
بعيداً عن الجنس الآخر، والنفسُ منك مَشوَّقة إلى
لقاء بأنثى. إنه شوق تقوده الغريزة التي غرزها في
النفوس خالق النفوس، وما غرسته يد الله لا تنزعه
يد بشر.

نعم، ربما كان في قلبك شيء من الحب
الخالص، لكنه ليس الحب الحقيقي المتين الذي
يستحيل قهره، لأن الحب الحقيقي تصنعه الأيام

وتغذّيه العشرة الطيبة، أما ما يبدأ به الأزواج الصغار فأكثره إعجابٌ وانجذابٌ من صنع الغريزة وأقله عاطفةٌ صادقة من صنع القلوب.

نعم، طلق زوجتك، ولا تتخيل أنك تهيم -إن تركتها- في البراري كما صنع صاحب ليلي (على ما يزعم الرواة) بل أرجو أن يعوضك الله خيراً منها ومن أهلها.

ولا أقول أنك لن تتعب ولن تعاني، بل إنك سوف تتعب وسوف تعاني، ولكنها معاناة في الطريق إلى الشفاء لا معاناة في الطريق إلى المرض بإذن الله. ولسوف يكبرُ عليك الهمُّ في الأسبوع الأول أو في الأسابيع الأولى، فإذا بلغ غايته (ولن يطول بإذن الله) فسوف يبدأ بالانحسار، وأرجو أن لا تمرّ عليك بضعة أشهر إلا وقد نسيتها تماماً، أما إذا وفقك الله بالارتباط بغيرها قبل ذلك الحين فسوف تبرأ على الفور إن شاء الله. وفقك الله وكتب لك الخير.

* * *

مشكلات لا تنتهي

أنا متزوج منذ ثلاث سنوات ، والحمد لله
رزقنا الله بطفل. مشكلتي هي أهل زوجتي ،
فهم يتدخلون في كل كبيرة وصغيرة ، ومهما
كانت علاقتي بزوجتي جيدة فإنها تنقلب فوراً
بعد تدخل أمها! حاولت كثيراً مع زوجتي لكي
أكسب ثقتها ونصحتها كثيراً ، لكن كل هذا
يذهب مع الريح ، فمشكلتها أنها لا تحافظ
على الخصوصية في الحياة الزوجية ، مع أنني
كنت حازماً معها في هذا الأمر ، علماً أنها
ليست صغيرة وعمرها قريب من عمري.

مشاكلي مع أهلها كانت كثيرة منذ أيام
الخطوبة ، فوالدتها هي المسيطرة في بيتهم.
وأهل زوجتي مقيمون في الخارج ، فهم يأتون
كل صيف ويغادرون في بداية الشتاء. العام
الماضي توفي والد زوجتي رحمه الله فجاءت
أمها وحدها في بداية الصيف ، ثم بدأت
المشاكل حيث أخبرتني زوجتي بأن أخاها
قرّر أن يسافر هو وأمه وزوجتي للترفيه عن أمه
بعد وفاة والده ، فرفضتُ سفر زوجتي وقلت
لها: سوف نسافر في الأيام القادمة وحدنا.

فقلت: إن لم أسافر مع أمي فسوف أخلق لك المشاكل وأنكد عليك عيشتك إلى أن تطلقني!

بعد رفضي قامت زوجتي بأعمال تخريبية في المنزل لإغاظتي. فعند عودتي من العمل فوجئت بأنها تركت كل أضواء البيت مُنارة من الصباح حتى عودتي، فتصرفتُ بحكمة وأطفأت الإنارة مما أثارها فأعادت إضاءتها مرة أخرى، فقممت بفكّ المصابيح، فثارت أكثر ومزقت قميصي! عندها اتصلت بأهلي وبوالدتها لأنني خفت أن تقوم بعمل جنوني. عندما حضرت أمها شتمتني أمام أهلي ورفعت صوتها في بيتي وقالت لي: "بنتي مش عايشة معك" (وهذا الكلام هو نفس الكلام الذي قالته زوجتي سابقاً) وهددتني أمها بالطلاق وقالت أنني منعت بنتها من الذهاب إلى خالاتها (مع أن زوجتي تزور خالاتها) وذلك للتغطية على أفعال ابنتها وقلب الموضوع.

بعد يومين حضر أخوها وسمع مني المشكلة وسمع منها واعتبر أن المشكلة أمر عادي وطلب مني أن أتناقش مع زوجتي وأن أكلمه في صباح اليوم التالي إن لم أتوصل إلى

اتفاق، وعندما جلست لأتحدث مع زوجتي قالت لي: "أنا مش عايشة معك، هاي مش عيشة"! فقلت لها: اتصلي بأخيك في صباح اليوم التالي ليأخذك. وفي اليوم التالي اتصل أخوها وأخبرني أنه يريد أن يأخذها هي وابني لأسبوع عند أمه. وسافر أخوها ولم ترجع، بعدها اتصل بي أخوها الثاني وقال أن عليّ أن أذهب أنا وأهلي لبيت أمه! فرفضت لأن أمه شتمتني في بيتي.

في اليوم التالي حضرت زوجتي إلى البيت وأنا غير موجود فأخذت جميع ملابس ابني وأغراضه، والآن مرّ شهر، مع العلم أنه لا يوجد في عائلتهم رجل يحب الإصلاح، وفي المشاكل التي حدثت قبل ذلك كانوا لا يقفون مع الحق، وباعتراف زوج خالة زوجتي فإن كل عائلتهم يحسبون حساباً لوجود حماتي بسبب تدخلاتها ومشكلاتها. أرشدوني جزاكم الله خيراً.

لا أعلم ما هو الجزء الذي تريد مني تقديم الحل له. أنت اخترت لرسالتك عنوان «مشاكل لا تنتهي». فإذا كانت هذه المشكلات لا نهاية لها، فأني

منها تريد لها أن تُحلَّ؟ وإذا حللت اليوم واحدة فماذا تصنع في التي بعدها غداً؟ والتي بعد غدٍ، وبعد غدٍ بعد غدٍ؟

أنت اهتديت إلى «جذر» المشكلة، وهو: (أ) التدخل الدائم من طرف أم زوجتك. (ب) انفتاح زوجتك المبالغ فيه على أهلها وعدم احترامها خصوصية العلاقة التي تجمعكما. ثم أدركت السبب في تفاقم المشكلات واستمرارها حين ربطتها بالطبيعة المسيطرة لحمايتك أولاً، وبأن عائلة زوجتك ليس فيها شخص يحب الإصلاح ثانياً. أما العلاج فقد بدأت به في وقت مبكر حينما حزمت مع زوجتك في مسألة تدخل أمها في حياتكما وانفتاحها الشديد عليها ثم بما بذلته من جهد لكسب ثقتها ونصحها كما تقول.

إذن أنت بذلت جهدك في علاج هذه المأساة منذ البداية، وبما أنني لا أعرف الأساليب التفصيلية التي اتبعتها فإنني لا أستطيع الحكم الدقيق عليها، لكنني أدرك أنك حاولت وبذلت غاية الجهد، ولا أرى -بالجملة- أنك غفلت عن المشكلة أو أنك سلكت سُبُلًا غير صحيحة لحلها.

الجزئية الوحيدة التي أجدني غير متفق معك فيها هي دعوتك أهلها عندما جُنَّ جنونها ومزقت قميصك، فما دمت تعرف أن أهلها يفسدون ولا يصلحون وأن أمها على ما هي عليه من السوء والرقاعة فلماذا حرصت على وجودها؟ هذه أخطأت فيها، وكان عليك أن تعالج الأمر بنفسك بلا أطراف خارجية، لا من أهلك ولا من أهلها. ولو أنك استشرتني يومئذ لأشرت عليك بأن تصنع بأحب أثوابها إلى نفسها ما صنعته هي بقميصك! هذا العمل يوصف في الأحوال العادية بأنه «عمل صياني» وهو لا يليق برجل عاقل محترم مثلك بالتأكيد، ولكن الحالة التي تصفها شاذة جداً وتحتاج إلى «صدمة» من العيار الثقيل للمساعدة على الشفاء.



على أن ذلك كله قد ولى الآن وصرنا في مرحلة أخرى متقدمة من المشكلة، ولا أرى حاجة بك لأن تندم على أمر فرط منك أو تصرف مرجوح تصرفته وكان غيره أرجح منه، فإنَّ مَنْ يقرأ ما ورد في رسالتك من تفصيلات يكاد يجزم باستحالة العلاج واستحالة الحياة الطيبة مع عائلة هذه سماتها.

وأنت تسأل الآن عن الحل ، فأَي حل في يدك
وهم قد أعلنوا عليك الحرب و«اختطفوا» الطفل
من بين يديك؟ إذا كان شهرٌ قد انصرم وزوجتك
«معتصمة» بيت أهلها ولا تريد العودة إلى بيتك ،
وإذا كان أهل زوجتك غيرَ راغبين بالخير ولا راغبين
في الإصلاح ، وإذا كانت زوجتك غير راضية عن
الحياة معك ولا تراها «عيشة» هنيئة...

إذا كان كل ذلك فماذا تصنع؟ هل تذهب إلى
بيت أهلها وتريق ماء وجهك رجاء أن تعطف حماتك
عليك وتأذن بعودة ابنتها إلى بيتك؟ إنها ستزداد
تسلطاً وصلفاً إن فعلت ، وما عانيت منه في السنة
التي مضت ستعاني ضعفه في السنة التي تأتي ،
وربما عانيت ثلاثة أضعافه في السنة التي بعدها.
وماذا بعد؟ ولماذا كل هذا العناء مع قوم لا يقدّرون
المعروف ولا يحبون الإصلاح؟

لا ، بل اقطع كل اتصال بزوجتك وبأهلها
ولا تتوسل إليهم بأي وسيلة ، ثم أرسل إليها رسالة
واضحة مع زوج خالتها (الذي أرجو أن يكون أعقل
من سواه): أعطها مهلة محدودة للعودة إلى البيت ،
عودة غيرَ مشروطة من جهتها بأي شرط ، ومشروطة

من جهتك بالبدء بحياة جديدة لا محل فيها لتدخل
أمها بأي شكل من الأشكال... أو لتبقَ في بيت أهلها
إلى الأبد.

لا بد من لهجة حازمة وموقف صارم، فإن لم
ينفع هذا الحزمُ اليومَ فلن ينفعَ في أي وقت آخر.
من الواضح أنك كنت لطيفاً لوقت طويل وأنت
حاولت الإصلاح بالحسنى، فماذا يصنع مَنْ يجرب
الأسلوب الحسن ويصبر عليه سنين ثم يخفق؟ كن
كما قال الشاعر:

ولي فرسٌ للحلمِ بالحلمِ ملجَمٌ
ولي فرسٌ للجهلِ بالجهلِ مُسَرَّجٌ

إذا عادت زوجتك إلى البيت في الموعد
المضروب فاحرص على تغيير قواعد اللعبة منذ اليوم
الأول. ارسم في حياتك الزوجية خطين أحمرين لا
سبيل إلى تجاوزهما: (أ) على زوجتك أن تحافظ
على خصوصية العلاقة الزوجية. (ب) وعلى حماتك
أن تكفّ عن التدخل في حياتك إلى الأبد.

غير أنني أستبعد أن تعود زوجتك من تلقاء
نفسها، فماذا في يدك لتضغط عليها؟ في يدك كل

شيء، فالرجل في يده المفاتيح دائماً، إذا أحسن استعمالها نجحت الحياة الزوجية ووفقه الله، وإذا أساء أو تعسف أو ظلم أفسد حياته الزوجية في الدنيا وجلب على نفسه عقاب الله وغضبه في الآخرة.

الخطوة الأولى التي ينبغي أن تبدأ بها هي الإهمال التام. انسَ أمر زوجتك وأهلها وعش بعيداً عنهم بلا زيارة ولا اتصال ولا سؤال، واصبر على ذلك مهما طال الزمن، حتى إذا اتصل أحدٌ من طرفهم، الزوجة أو أيٌّ من أقاربها، فاشترط شرطيك السابقين لعودتها إلى البيت. ولا ترسل لها أيَّ مال، ولا تأخذك الشفقة بالطفل الصغير فتحدث نفسك: لعلي أرسل المال من أجله! لا، بل دعهم يتدبرون أمرهم ويرتقون الفتق الذي فتقوه. وإذا ما لجأت زوجتك إلى القضاء لطلب النفقة فرّد عليها بأنك لم تطلق، والنفقة واجبة للزوجة في بيت زوجها لا في غيره، وسوف ينصفك القضاء ولن يحملك أي نفقة بإذن الله.

أهم ما في هذا العلاج أمران، أمرٌ قبله وأمرٌ بعده. فأما الذي قبله فالصبر والثبات على المقاطعة الكاملة، وأما الذي بعده فالحزم والحرص على عدم

تجاوز الخطيين الأحمرين اللذين أشرْتُ إليهما آنفاً،
فإن تقاعستَ في أي من هذين الأمرين فلا خيرَ في
العلاج كله من أساسه.

وقبل ذلك كله ومن بعده استعن بالله وادعُ به بأن
يختار لك الخير، فإنك لا تعلم أين هو الخير، إنما
يعلمه الله، فكن مع الله والجاً إليه صادقاً وتوكل عليه
حق التوكل، ولن يضيعك الله بإذنه.

* * *

شاب أرغمه حمّوه على تطليق زوجته

أرغمني والد زوجتي على طلاقها منذ سبعة أشهر، وذلك لكثرة ديوني وعدم تمكيني من تأمين وظيفة في وقت الطلاق. وتمّ الطلاق على أساس أن أسترجع زوجتي في حالة العثور على وظيفة مناسبة للصرف على زوجتي وبنتي التي تبلغ من العمر سنتين.

وبعد أن وجدت الوظيفة طلبت منه الالتزام بوعده لي، لكنه بدأ يتملص من وعده وطلب مني أن أسدّد كل ديوني أولاً وأن أصرف على بنتي، وبعد ذلك يبدأ بالتفكير في طلبي وإعادة زوجتي. علماً بأن جزءاً من ديوني هذه تخصّ أحد أقارب زوجتي، وهو زوج خالتها، فطلب مني سداذه أولاً ثم يبدأ في التفكير بالرجوع. والآن زوجتي بدأت تكرهني وبنتي بدأت تنساني. ماذا أفعل؟

ليست هذه المرة الأولى التي أسمع فيها بمثل هذا الأمر الغريب: زوج يطلق زوجته ثم يقول أن أباه أو أمها أو بعض أهلها أجبروه على فراقها! ما هذا الكلام؟ ومتى كان الطلاق بالإكراه؟ لو كان

إكراهاً حقاً - كما تقول - لما وقع ، هذا هو مذهب الجمهور (وخالفهم الأحناف) ، لكنّ حالتك ليست حالة «إكراه» (أو «إرغام» بتعبيرك). أنت استجبت للضغط الذي مارسه عليك حموك فطلقت زوجتك ولم تُكرِه على تطليقها بالمعنى الحقيقي ، كأنّ تُهدّد بالقتل أو بالأذى ما لم تطلّق.

ثم متى كان الرجال يُجبرون على مفارقة زوجاتهم لأنهم غارمون؟ لو أنّ كل مدين قُضي عليه بأن يفارق زوجته لتهدّمت أربعة أخماس بيوت الناس وتشرد الولدان في الطرقات وانهار المجتمع! هذا لم يكن قطّ سبباً في التفريق بين الزوجين ، وليس من شأن حميك أن تستدين أو لا تستدين ، الذي ينبغي أن يقصر اهتمامه عليه هو أن تكون قادراً على إعالة بنته وتوفير حياة لها تشبه في مستواها حياتها في بيته قبل زواجها (لا أكثر ، إلا باختيارك ورضاك). وحتى لو أنك قصّرت في هذا لما كان من شأنه أن يجبرك على الطلاق ، إنما يفرّق بين الأزواج القضاء ، فليذهب إلى القاضي ويبيّن له المسألة ، والقاضي يحكم له (بالتفريق) أو لك (ببقاء زوجتك في مسكنك).



أما وقد حصل الذي حصل فماذا أصنع لك
أنا أو ماذا يصنع غيري؟ هذه معضلة كان مفتاحها
في يدك فنقلته مختاراً إلى يد غيرك. أفما كان أولى
لك أن توافق على انتقالها من بيتك إلى بيت أبيها
بغير طلاق حتى تتحسن حالك، فإذا استقام أمرك
ووجدت الوظيفة الملائمة - كما حصل الآن - ردّتها
إليك بحق الشرع والقانون؟

إنما أقول هذا كله ليستفيد منه من لم تقع في
رأسه الفأس التي أصابت منك الرأس، أما أنت
فلا أجد لك حلاً غير أن تستعين ببعض أهل العقل
والقدّر والوجاهة في عائلة زوجتك، ولا تخلو
عائلة من كبار أصحاب قدر ومكانة أو حكماء ذوي
عقل وخبرة. اذهب إلى هؤلاء ودعك من حميك،
فالظاهر أنه أحق، فلا أظن أن عاقلاً يخرب بيده
بيت بنته! هؤلاء اذهب إليهم، وحدك أو مع «جاهة»
من كبار عائلتك، من أب أو عم أو سواهما.

وليكن الخطاب بالحكمة والعاطفة معاً، فلا
العقل يقبل لفتاة في أول عمرها بأن تُمضي بقية
حياتها مطلقةً لغير ما سبب وجيه، ولا الرحمة ترضى
لطفلة بريئة بأن تُحرّم حنان الأب ودفع الأسرة لنزوة

ألقاها الشيطان في قلب جدها!

هذه المحاولة لا حدَّ لها، فجِدَّ فيها ولا تيأس، ولكن لا تَبْدُ ضعيفاً متهافتاً حتى تفقد مع أهل زوجتك كل هيبة واحترام، فإنه لَثَمَنٌ فادح جداً لو اضْطُرَّرتَ إلى دفعه، وأرجو أن لا تفعل.

* * *

هل يمكن الاستمرار في هذا الزواج؟

أنا جامعية من عائلة متدينة وزوجي جامعي لكنه من عائلة عامية جداً، وهو يكبرني بعشر سنوات. فوجئت بعد زواجنا بأنه لا يهتم بشهادته ويعمل بأعمال متواضعة جداً، أما أنا فغير مسموح لي بالعمل ولا قيمة لي إلا في المطبخ.

مضت السنوات وأنجبت أربعة أولاد لم يشاركني بتربيتهم على الإطلاق، ولم أكن أنذمر ولم أفكر بالانفصال لأنني كنت متعلقة جداً بأولادي رغم أنه لم يهتم بي أبداً ولم أسمع منه في حياتي أي كلمة اهتمام. وهو أناني جداً، يشتري لنفسه كل ما يشتهي ويقتر على أولاده. ثم ازداد عنفاً في آخر سنتين فصار يصرخ بشكل هستيري ويحطم أي شيء أمامه ويضرب الأولاد، ومع ذلك تحملت، وحتى أهلي لم أخبرهم بأي شيء عن حالتي. كثيراً ما يظهر الندم ويعدنا بأن يتغير ويصبح زوجاً وأباً صالحاً، إلا أنه ما يلبث أن يعود إلى سابق عهده وسيرته ولا يتغير على الإطلاق. لم أعد أحتمله أبداً والأولاد صاروا يكرهونه

وأصابت ابنتي كآبة وصارت تكره الرجال،
وكلما وقعت مشكلة جديدة يستعيدون كل
الذكريات الموجهة ولا يعودون قادرين على
الدراسة وصاروا يكرهونه ويتحاشونه. الشرخ
يزداد بيننا باستمرار، وقد تعبت كثيراً وأولادي
تعبوا معي وأشعر بالذنب لأنني لم أستطع
حمايتهم ومنحهم الأمان والحنان، ومع ذلك
أحزن على زوجي لو اتخذت قرار الانفصال،
فهل أبقى معه أم أنفصل عنه؟

لا أخفيك أن المشكلة معقدة لأن أسبابها
كامنة في جذور العلاقة بينكما وليست مما طرأ على
علاقتكما مع الوقت، وقد رأيت جواب مشكلتك
أمام عيني بعد قراءتها بدقائق، ولكنني فضّلت التريث
والتفكير المتعمق في جوانبها لأن القرار تنبني عليه
مصائر عدد من الأشخاص، أنت والزوج والأولاد.

ابتداءً ينبغي أن نقرر أن التوافق من أساسيات
الزواج الناجح، التوافق بمعناه الواسع حسبما فصلته
في مشكلة سابقة، وقد شعرت بعد قراءة وصف
مشكلتك أن التوافق في زواجك معدوم، وكان أول
ما خطر ببالي أنه وضع غير قابل للإصلاح في ظل

شخصية زوجك التي تأبى التجاوب والتنازل. ومن ثم فإن نجاح هذه العلاقة ميؤوس منه في أي وقت، فهي غير قابلة للتحسن مهما طال الزمن، لذلك فإنني أنصحك بأحد حلّين: الاستمرار إذا كنت تستطيعين احتمال الوضع الراهن أنت والأولاد، لأنه لن يتغير، أو الانفصال.

لو كنت مكانك لاخترت الحل الثاني، ليس فقط من أجل نفسي بل أيضاً من أجل أولادي، فأحياناً يكون انفصال الأبوين كارثة على الأبناء، وأحياناً يكون عدم انفصال الأبوين كارثة على الأبناء، وحالتك من النوع الثاني.

ومما يسهّل قرار الانفصال أن الأولاد كبروا نسبياً بحيث يستطيعون احتمال ظروف الانفصال، وأنهم يدركون أن الاستمرار صعب لكل الأطراف، وأن البنت بالذات قد بدأت تتعقد نفسياً من الزواج، ولو استمرت حياتها في هذه الظروف القاسية فلا أستبعد أن تتخذ موقفاً سلبياً مؤبداً من الزواج، أما الآن فربما أمكن علاجها نفسياً بحيث تزول آثار التجربة المُرّة مع الوقت.

إذا قررتِ المضي في هذا الطريق فأشركي

أولادك في التشاور وليكن القرار جماعياً. أما الحزن
على الرجل فهذا دليل على نبل وأصالة في نفسك،
ولكن ما الحيلة والحياة معه مستحيلة؟ إن مآلاتنا هي
ثمرة أفعالنا: ﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾. عوّضك الله
خيراً عما مضى وعافى الأولاد من أي أثر سلبي الآن
وفي الآتي من الأيام.

* * *

هل أنفصل عن زوجي؟

أنا سيدة متقدمة في العمر أحمل شهادة عالية وأعمل في وظيفة مرموقة، ولي عدد من الأولاد -بنين وبنات- كلهم متزوجون. أمضيت حياتي كلها في غربة مع زوجي الذي لم يهتم بي قط ولم تزد نظرتي إليّ على أنني آلة للطبخ والغسل والتنظيف والعمل والإنجاب، فلم يعبر لي قط عن مشاعر الود التي يتبادلها الأزواج الطبيعيون ولم أسمع منه أبداً كلمة مديح وتقدير.

أمضيت السنين وأنا أفكر بالانفصال ويمنعني من ذلك حرصي على الأولاد، ثم كبروا وتزوجوا كلهم أخيراً وصرت قادرة على اتخاذ قرار الانفصال. وقد عرفت في العمل رجلاً يصغرنني في السن قليلاً ماتت زوجته منذ وقت قريب، ورغم أننا نتعامل برسمية شديدة وفي حدود الأدب والدين إلا أنني فهمت منه أنه لا يرغب بإكمال حياته وحيداً وأنه لن يتردد في الزواج لو عثر على سيدة تناسبه، ولا سيما أن أولاده كبار متزوجون وهو لا يريد أن يكون عالة على أي منهم، ففكرت أنني ربما صلحت له وصلاح لي لو أنني انفصلت

عن زوجي وصرت حرة أستطيع الزواج بمن
أشاء. وفي الحقيقة فإنني أشعر بأنه يملك
الصفات التي افتقدتها في زوجي وأنه يمكن
أن يعوضني عما فقدته في حياتي السابقة من
عاطفة ورعاية واهتمام، فهل أطلب من زوجي
الانفصال على أمل الزواج بهذا الإنسان؟

الطريقة الصحيحة للإجابة عن سؤالك هو الفصل
بين جزأيه والتعامل مع كل جزء منهما على حدة.

السؤال الأول: هل تستمرين مع زوجك أم
تتركيه؟ لكي تنجح في اتخاذ القرار الصائب من
الضروري أن تفترضي أن فكرة الارتباط برجل آخر
قد لا تتحقق وأنت لو انفصلت عن زوجك فقد تبقين
وحيدة بلا زواج، وتصوري أيضاً بالمقابل أنك لو
بقيت معه فلن يتغير وسوف يبقى كما هو دائماً،
فهل تستطيعين الاستمرار معه إلى آخر العمر؟ ما
هي الإيجابيات والسلبيات في الاستمرار وما هي
الإيجابيات والسلبيات في الانفصال؟

كما قلت فإن الأولاد لم يعودوا صغاراً ومن ثم
فلن يكونوا عقبة في طريق الانفصال لو كان هو القرار
الذي ستحازين إليه، ولو كانوا صغاراً لكانوا عنصراً

مرجحاً. ولكن مع ذلك لا نستطيع أن نفترض أنهم عنصر محايد بالكلية، فكل حادثة انفصال بين أبوين تترك آثاراً سلبية في نفوس الأولاد، حتى لو كانوا كباراً متزوجين، ولا سيما البنات المراهقات الحس، ولا أكاد أستثني إلا الحالات التي تصبح الحياة فيها بين الزوجين جحيماً بسبب الخلافات المستمرة والنزاعات التي قد تترافق مع بعض العنف (غالباً من طرف الزوج)، ففي مثل هذه الحالة تحديداً يكون الانفصال في صالح الأولاد.

وماذا لو انفصلت ولم تنجحي بالارتباط بزواج جديد؟ هذا الأمر وارد ويجب أن يؤخذ في الحسبان حتى مع التفاصيل التي ذكرتها، فقد يطرأ طارئ من أي نوع: قد يغير الرجل رأيه في الزواج، وقد يتدخل بعض أهله ليشنوه عنه حتى لو رغب فيه، فعندئذ ماذا تصنعين؟

الأمر الأخير الذي يجب التفكير به دائماً: ليس في الدنيا مخلوق كامل، لا رجل ولا امرأة، فلكل واحد نصيبه من العيوب، وأنت عرفت عيوب زوجك جيداً (وأنا لا أراها عيوباً فظيعة، فقد اطلعت خلال سنوات من الاستشارات على عيوب أفضع منها

بما لا يُقاس) فأرجو أن تفكري بعمق: هل تستطيعين التأقلم مع أنواع أخرى من العيوب؟ هل ستكون عيوب أي رجل آخر أكثر أو أقل؟ والأهم: هذا الرجل الذي لا تكادين تعرفين عنه أي شيء: ما هي عيوبه؟ أظن أنك ستصابين بالدهشة عندما تواجهين نفسك وتكتشفين أنك لا تعرفين عيوبه، فهل هو بلا عيوب؟ مستحيل، لا بد أن تكون فيه عيوب.

لاحظي أنني -في كل ما سبق- لم أقدم رأياً ولم أتخذ قراراً، فقد علّمتني تجاربُ لا تحصى أن أحداً لا يستطيع اتخاذ القرار الصحيح في مثل هذه المواقف إلا صاحبُ المشكلة نفسه، وغاية ما يستطيع الآخرون صنعه هو المساعدة على رؤية المشكلة من وجوهها المختلفة ثم ترك القرار النهائي لصاحب المشكلة، ولا سيما عندما يكون صاحب المشكلة على قدر عالٍ من الوعي والثقافة كما لمست فيك من كتابتك ووصفك لنفسك وحياتك.

* * *

والآن إلى السؤال الثاني: لو أنك انفصلت عن زوجك حقاً وصرت حرة: هل تتزوجين ذلك الرجل بعينه؟

هنا لا أقول أنني لن أقرر وسأترك لك القرار، بل سأقول أننا لا أنا ولا أنت نستطيع اتخاذ القرار بسهولة، لأن الزواج الناجح لا يُبنى على معرفة عابرة في عالم الوظيفة المحدود وحده. نعم، إن مثل هذه المعرفة قد تُظهر الكثير، ولكنها تُخفي الكثير أيضاً، وباعتقادي أنّ ما تُظهره لا يكفي لاتخاذ قرار بحجم الزواج وأن ما تخفيه «يمكن» أن يكون سبباً كافياً في الحكم عليه بأنه زواج فاشل.

الحقيقة أنكما كليكما تحت ضغط نفسي وعاطفي، هو بسبب وفاة زوجته التي لم يمض عليها وقت طويل وأنت بسبب فشل علاقتك بزواجك، وفي حالة الضغط لا يتخذ المرء قرارات سليمة أبداً.

وأنت لم تذكرى تحصيله الجامعي، ولكني لا أستبعد أن تكوني أكثر منه تحصلاً كونك حاصلة على شهادة عليا. ثم إنك أكبر سناً، وهذان عاملان سلبيان في العلاقة الزوجية، فالحالات التي تكون الزوجة فيها أكبر أو أغنى أو أكثر تعليماً أو أرفع في الدرجة الاجتماعية تنتهي غالباً بفشل العلاقة. لا أقول أن هذا سائغ أخلاقياً ودينياً، ولكني أصف الواقع كما هو في بيئتنا الشرقية.

كل ما قلته سابقاً لا يعني أن الزواج بهذا الرجل
(لو أنك انفصلت عن زوجك) سيكون فاشلاً، فلا
يمكن الحكم على نسبة النجاح أو الفشل المتوقعين
إلا بعد السؤال والتمحيص، وبالتأكيد لن يكون
الوصول إلى القرار النهائي سهلاً، لذلك سأقدم لك
فكرة أخيرة أرجو أن تساعدك على حسم الموضوع:
حاولي أن تتجردي من المشكلة تماماً وأن تتخيلي
أنها مشكلة تعاني منها بنتك أو أختك الصغيرة،
وتخيلي أنها استشارتك، فماذا سيكون الجواب؟
أنت كبيرة عاقلة حكيمة مثقفة، ولا أتوقع أنك
ستخطئين في النصيحة إذا عرضت عليك استشارة
مشابهة من فتاة تحيينها ويهمك أمرها.

أسأل الله أن يوفقك إلى أفضل قرار وأن يرزقك
السعادة في كل حال.

* * *

كهلٌ يتشَبَّب (١)

أعاني من زوج يهوى كتابة الغزل وينشره في
المنتديات بشكل يصوّر نفسه أنه كان هائماً
بفتاة ولم يستطع الارتباط بها فهو يتعذب
لبعدها عنه ولا يجد طعماً للحياة بدونها.
سألته مراراً عنها ولم يجبني، بل كان ينهرني
دائماً ويقول لي - عندما يرضى - أنها مجرد
خيالات. ثم زادت المشاكل بيننا في الفترة
الأخيرة لأنه لم يُلقَ بالاً لمشاعري عندما يكتب
مثل هذه الأشياء وتأتيه الردود من المنتدى
بالتصبر وبأنه لا بدّ يوماً أن يلتقي بمن يحب!
علماً بأن زوجي في ستينيات العمر، كما أنه
غير مقتنع بأن الموضوع حرام. فكيف أتعامل
مع هذه المشكلة؟

الذي شعرته من قراءة هذه المشكلة هو أنّ
السائلة الكريمة قد وجّهت الإجابة مسبقاً في اتجاه
إقناع زوجها بحرمة ما يفعله وإقناعه بترك كتابة الغزل
ونشره، فهل ينبغي عليّ أن أستجيب لهذا التوجيه

(١) التشبيب هو النسيب بالنساء، وهو التغزل وإظهار
العشق والهوى.

وأن ألبي طلبها فأسوق الحجبَ للزوج عسى أن أقنعه
بذلك؟

أرجو أن لا أخيبَ رجاءك -أختي الكريمة-
إذا قلت لك أن الحكم الذي أطلقته على ما يصنعه
زوجك غير صحيح، فأنت افترضت أن الحرمة فيه
لا شكَّ فيها فأطلقت الحكم على سبيل القطع بقولك
"كما أنه غير مقتنع بأن الموضوع حرام". فمَن أخبرك
أنه حرام؟

لا يا أختي؛ الحكم على الأعمال بالحِلِّ
والحرمة لا يطلقه إلا العلماء، وخلاصةُ كلام أهل
العلم في هذه المسألة هي أن الغزل لا حرمة فيه على
إطلاقه، إنما يحُرِّم إذا كان تشبيهاً بامرأة بعينها لا
تحل للمشبِّب المتغزل.

فإذا لم يقصد الشاعر بالتشبيب امرأة معينة،
أي إن كان غزله عاماً مُبهماً، أو إذا اختلق لها اسماً
وهمياً كسعاد وسلمى ولم تُعرَف به امرأة بعينها فهو
جائز، أما إذا قصد به امرأة معينة وكانت في قيد
الحياة فهو حرام إن كانت أجنبية عنه^(١).

(١) والنائر حكمه حكمُ الشاعر في هذه المسألة.

هذه هي خلاصة الحكم الشرعي في المسألة،
وقد أنشد كعبُ بن زهير النبي ﷺ -لَمَّا جاءه تائباً-
القصيدة المشهورة التي بدأها بالغزل الصريح (على
عادة شعراء العرب في ذلك الزمان) ولم يعترض
عليه النبي عليه الصلاة والسلام بل استحسّن شعره
وألبسه بُردته على ما جاء في أخبار السيرة الصحيحة.

* * *

انتهينا -إذن- من مناقشة الطلب الذي ظننت
أنه يحل مشكلتك، لكن المشكلة ما زالت قائمة،
فلنُسعَ إلى تحديدها أولاً ثم إلى علاجها بعد ذلك.

الذي يغلب على ظني هو أن مشكلة هذا الرجل
تنحصر في أنه يعاني من فراغ نفسي وعاطفي فشلت
زوجته في معالجته، بل يبدو أنها فشلت في إدراكه
ابتداءً، فراح يعبر عنه بأمثال هذه الكتابات التي
تمنحه في الخيال الاهتمام والحب اللذين لم ينلّهما
في الواقع. وكان يمكن أن تؤدّي هذه الحالة الطارئة
التي استجدّت في حياته ولم تكن علماً عليها من قبل
(كما يبدو من السؤال) كان يمكن أن تؤدّي وظيفة
«جرس الإنذار» فتنبه زوجته وتدفعها إلى البحث عن
سبب المشكلة الحقيقي، لكنها انشغلت عن هذا كله

بما حاك في صدرها من مشاعر الغيرة والضيق الذي
تحس به كل أنثى انشغل عنها زوجها بغيرها.

وهذه الغيرة مفهومة ومبرّرة، فلا أملك أنا ولا
يملك غيري لوَمَك عليها، لكنها عائق أمام الحل
وليست في صالحك. فخلصي نفسك منها أولاً،
وصدقيني: إنه لم ينشغل عنك بغيرك وإنما هو يتعلق
بخيال، فهل تغارين من خيال؟

إذا اقتنعت بما أقول فانصرفي جملةً واحدةً عن
كل ردود الأفعال التي تُملئها الغيرة أو تدفع إليها:
لا تناقشيه فيما يكتبه، ولا تظهرى منه الاستياء أو
الغضب، ولا تسأليه عن «محبوبته» الافتراضية من
تكون، بل تجاهلي الأمر برمته وأشعري زوجك
أنك لا تفكرين في كتاباته ولا تُبالينها. هذا من حيث
الظاهر، أما في الحقيقة فعليك أن تهتمي بها الاهتمام
كله وأن تقرئي كل حرف يكتبه، ولكن لا لتحزنك
قراءة ما يكتب بل لتقتبسي منه الحل لمشكلتك، لأن
هذه المشكلة فريدة في أنها تقدم الجواب في طيات
السؤال!

اسألي نفسك بصدق: ما هو مبلغ اهتمامك
الحقيقي به؟ ما هي التصرفات التي تكرر فيها كل يوم

فیفهم منها أنك مهتمة به؟ متى كانت آخر مرة عبّرت له فيها عن حبك؟ هل يحظى منك بالاحترام الحقيقي؟ هل نجحت في إقناعه بأن له في حياتك دوراً ومكانة؟ هل يحس أنك تتشبّثين به وتخافين عليه؟

إن زوجك يقول أنه غير راض عنك وعن علاقتك به، هذا هو المعنى الحقيقي لما يكتبه من غزل، وهو يقدم في كتابته الصفة التي يريدناها فيك، أي في «المحبوبة» التي يسعى خياله إليها. وما أسهل الحلّ إذن! اقرئي وطبّقي. إذا وصف كلمات رقيقة تلقيها المحبوبة في أذنيه فاخترعي كلمات أجمل منها وأرقّ وألقيها في أذنيه، وإذا كان يتحدث عن عناق واشتياق فعانقيه وأظهري له الشوق كلما غاب عنك وعاد بعد غياب، وتفنني في كل ما يداعب عواطفه ويُسعره بالاهتمام.

أظن أن هذه الكلمة هي المفتاح: «الاهتمام»، ومعها الكلمة الأخرى التي لا تخلو منها رابطة زوجية ناجحة: «الحب». إن اهتمامك الصادق به سيعيده إليك، وحبك الذي تعبّرين عنه سوف يملأ قلبه، فيكتفي بك -وأنت حبّ حيّ- عن الأوهام والخيالات.

هذا هو العلاج الذي أستطيع تقديمه: توقّف
عن عمل (المراقبة والمعاينة والاعتراض والإعراض)
وإقبالاً على عمل (الاهتمام والتودّد والاقتراب
والاسترضاء)، وأرجو أن يكون حلاً شافياً بإذن الله.



ولن أترك هذه المسألة قبل أن أقول كلمة أخيرة
في الختام:

إذا بدا ما سبق وصفاً خاصة لهذه الحالة
تحديداً فإنه - في الحقيقة - وصفاً عامة لكل زواج
طال عليه الأمد، وما نصحتُ به الزوجة هنا أنصح به
كلّ زوجة غيرها في الحالات المشابهة، وأنصح به
كلّ زوج أيضاً، فإن اهتمام كل شريك من الزوجين
بشريكه يزداد ضرورةً وقيمةً مع التقدم في العمر،
وهو «تزييت» لا غنى عنه لماكينة الزواج التي تتآكل
مفاصلها وتهترئُ رؤسُها مع مضيّ الوقت، فاللّم
يتعهّدها الزوجان بمثل هذه العناية أو شكت أن
تتوقف عن العمل لا قدر الله!



غيرة مبالغ فيها

زوجتي تقتلني بغيرتها، فإذا عدت من العمل تخضعني لتحقيق: مَنْ رأيت ومن قابلت؟ وإذا تحدثت بالهاتف اضطربت حتى تتيقن أنني لا أحدث غير رجل من الرجال! وإن خرجت معي راقبتني بعيون الصقر خوف أن أتلقت يمينا أو يساراً فتسقط عيني على امرأة سواها. لقد أربكت حياتنا بهذا السلوك ولم تُجدِ كل محاولاتي لطمانتها وإزالة شكوكها، حتى لقد هممت بفراقها. ماذا أفعل؟

سأبدأ بتقرير هذه القاعدة المهمة: إن الغيرة كالمح للطحام والدواء للمريض، قليل منها يفيد ولكن الإكثار منها ضار.

أرأيت إلى طعام بغير ملح، أيؤكل؟ فلو سكبت فوقه مثل وزنه أو نصف وزنه ملحاً؟ لا يصلح في كلا الحالين. والدواء يتناوله المريض بجرعات محددة مقننة فيشفى بإذن الله، فإن شرب القارورة كلها أو ابتلع الأقراص جميعاً مرة واحدة هلك أو زاد مرضه. وكذلك الحياة الزوجية: لو خلت من أي

غيرة من الزوج على زوجته أو الزوجة على زوجها
لتفككت وفقدت نضارتها، بل أعرف زيجات لم
تستمر لهذا السبب. ولكن الزيجات التي أنهاها
الإفراط في الغيرة (من أي من الطرفين على الطرف
الآخر) أكثر بكثير!

إذن أنت تحتاج إلى تخفيف غلواء هذه الغيرة
المرضية لدى زوجتك، فماذا تصنع؟ جرب هذا
الأسلوب:

توقف نهائياً عن الاحتجاج على مظاهر الغيرة
المزعجة التي تبديها زوجتك. سيدفعها ذلك إلى
التساؤل عن الخطب ويبدأ شعور القلق لديها
بالازدياد. تصنع عدم المبالاة ولا تعلق على أي
رد فعل قد يصدر منها. ثم ابدأ بعد ذلك بخطوات
استفزازية مثل: أثناء تلقي اتصالات هاتفية في البيت
اخفض صوتك واهمس ببعض العبارات والكلمات
غير المفهومة... انتق بعض الأوقات التي اعتدت
سابقاً على البقاء فيها في البيت (كال مساء المتأخر)
وغادر البيت فيها بعد أن ترتدي أفضل ملابسك
ولا تخبرها عن وجهتك (يمكنك أن تتمشى قليلاً
في الطرقات أو تمضي الوقت في متجر قريب)...

أمام زوجتك أخرج من جيوبك أوراقاً مطوية ومزقتها
قطعاً صغيرة وارمها في علبة القمامة... إذا كان موعد
عودتك إلى البيت من العمل منتظماً فتعمد أن تصل
متأخراً في بعض الأيام.

ثابر على تنفيذ الخطوات السابقة لمدة لا تقل
عن أسبوعين، وعليك بالصمود أمام كل المحاولات
المستميتة المتوقعة من زوجتك للحصول على تفسير
لكل ما قمت به من تصرفات. تظاهر باللامبالاة وعدم
الاكتراث بقلقها، تجاهل أي تعليق منها وحافظ على
الأجوبة المبهمة: "لا شيء"، "مشغول"، "نسيت"،
"مجرد عمل"... وأخيراً، بعد أسبوعين من العذاب
(لا تُضعِفك العاطفة، تذكر أنك في عناء منذ
تزوجت) اشرح الموضوع كاملاً:

نعم، لم يكن في الأمر شيء؛ لقد كنت تمثل
طول الوقت! ولكن كان بوسعك أن تصنع -حقيقة-
ما كانت زوجتك تخشاه: كان يسعك أن تتزوج امرأة
أخرى ولم يكن بوسعها منعك من ذلك، ولم تكن
غيرتها ولا تحقيقاتها المستمرة لتحول دون وقوع هذا
الأمر لو عزمت عليه، بل لعلك لو شئت لأقدمت
عليه غير مُبالٍ بسخطها أو غضبها.

والآن إلى الأخبار الجيدة: أنت فعلاً تحب
زوجتك ولا تفكر في سواها، بل لا يمكن أن تفكر
في سواها، وهي أجمل وأفضل وألطف النساء...
لولا غَيرُها. وسوف تعيشان أجمل وأفضل حياة
يعيشها زوجان إذا تركتَ هذا الطبع إلى الأبد، أمّا
إن بقي لديها فسوف يدمر هذه الحياة ويحيلها إلى
خراب!

بعدما تعاني زوجتك ما تعاني ثم تسمع منك
هذا الكلام، أظنّ أنها تبقى على غيرتها أم تتخلى
عنها إلى الأبد؟ جرب هذا الأسلوب وأخبرني.



مشكلة شك الزوج وغيْرته المَرَضِيَّة

أنا متزوجة من ست سنوات ولي ولد عمره أربع سنوات. من سنتين بدأ زوجي يشك فيّ فتحوّلت حياتي إلى جحيم. أعتقد أن زوجي مريض بمرض الشكّ، لأنّه من وجهة نظري لا يوجد سبب حقيقي يدعوّه إلى الشكّ، بالإضافة إلى أنّه غيور جداً أساساً، حتّى إنه لا يسمح لي بمشاهدة التلفاز! إنه غيور جداً وعصبي جداً، فهل يمكن أن تنتهي مشكلة الشكّ من غير علاج؟ كيف يمكن أن أساعد زوجي على التخلص من هذا المرض؟

منذ أربعة أشهر انتقلت إلى بيت أخي في مدينة أخرى، وهي ذاتها المدينة التي يعيش فيها أهلي وأهل زوجي، وبقي زوجي وحده في المدينة التي يعمل فيها. والد زوجي هو الذي اقترح انتقالي إلى مدينتهم لأكون قريبة من أهلي وأهله، وذلك بعدما طلبت الطلاق بسبب رفض زوجي تلقيّ العلاج. وافقتُ على هذا الاقتراح لأنّ تغيير البيئة ربما يساهم في علاج المشكلة، وأنا الآن في حيرة من أمري، لا أعرف ماذا أفعل وكيف يمكن أن أصل

بأسرتي إلى برّ الأمان. مع العلم بأن ولدي
حساس ويسأل عن والده ويريد أن يعود إلى
بيتنا القديم ليكون معه.

أهل زوجي كلهم معي ويرون أن زوجي بحاجة
للعلاج. أنا وزوجي ملتزمان، وأنا حقيقة لا
أرغب في الطلاق إذا وافق على العلاج.
زوجي عمره أربعون سنة ولا يحمل سوى
الشهادة الثانوية ويعمل في وظيفة متواضعة،
وأنا شهادتي جامعية (دراسات إسلامية)، وقد
أكملت سنة الماجستير المنهجية قبل الزواج.
أريد أن أعرف: كيف يمكن أن أقنع زوجي
بالعلاج؟ لقد غلبت هذه الوسواس على
عقله، وهو لا يريد الطلاق ولا يريد العلاج.
في هذه الحالة هل يكون الانفصال هو الحل؟

(١)

مقدمة

الغيرة في أصلها طبع محمود، فإن الغيرة على
المحارم من مفاخرنا والنخوة طبع فينا نحن العرب،
وهو طبع هدّبه الإسلام ورشدّه، فأقرّ منه ما يمنع من
المحرّمات وكشف العورات وما يدفع إلى الفضيلة

والعفاف ، ونفى ما سواه. والغيرة المحمودة مقياسها الشرع ، فما أنكره الشرع أنكرناه وما قبله قبلناه ، فليس منا ذلك الرجل الذي لا يبالي أن تكشف امرأته عورتها أمام الأجانب ، رأسها وذراعيها وساقها وصدرها ونحرها! أو أن تختلط بالرجال بلا ضرورة وتبسطهم وتتبادل معهم الهزل والمزاح.

لا ، هذا كله مرفوض وهو تفريط ، لكن عكسه مرفوض أيضاً ، وهو الإفراط الذي نهى عنه الشرع وحذّرنا منه النبي ﷺ: الغيرة التي تُخرج الرجل عن طوره إن غابت امرأته ساعة في زيارة والدتها أو جارتها، فيتّهمها ويظن أنها ما غابت إلا لزيارة صديق أو لقاء عشيق! هذه هي الغيرة المذمومة ، غيرة الجاهلية التي تنغص حياة الزوجين وتقلب البيت ناراً مسعرة ، ولا تنشأ إلا عن سوء الظن وضعف الثقة.

وقد وردت الأحاديث في التحذير من الثانية والحث على الأولى ، فنهى النبي ﷺ المسافرين الغائب عن طَرُق زوجه ليلاً ، أي العودة المفاجئة بليلٍ وكأنه يخونُها أو يشكّ فيها. أخرج البخاري ومسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أطال أحدكم الغيبة

فلا يطرق أهله ليلاً». وأخرج مسلم عن أنس أن النبي ﷺ نهى عن «أن يطرق الرجل أهله ليلاً، يتخونهم أو يتلمس عثراتهم». وللحديث روايات أخرى بالمعنى ذاته.

وبالمقابل نجد الحديث الذي أخرجه النسائي عن ابن عمر وصححه الحاكم والألباني: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء». والقول الفصل الجامع في المسألة هو قوله ﷺ: «إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره، فأما ما يحب فالغيرة في الريبة، وأما ما يكره فالغيرة في غير ريبة».

فالغيرة المطلوبة هي الغيرة المتوسطة المعتدلة التي تحافظ على حدود الله وترعى شرعه في غير ما تضيق على الزوجة من زوجها (أو على الزوج من زوجته، وهذا ليس محل جوابنا اليوم).

(٢)

المشكلة

لا شك أن هذه المشكلة حالة مَرَضِيَّة تحتاج إلى تدخّل طبي، لكنها ليست صعبة لدرجة تجعلها

عصية على العلاج ، لذلك لن أميل أبداً إلى اقتراحك بعلاج المشكلة بالانفصال ، على الأقل ليس قبل اليأس الكامل من العلاج. إن قراراً كهذا يملكه الزوجان بالكامل عندما يكونان بلا أولاد ، أما حينما يصبح الأولاد جزءاً من المعادلة فإن الكفاح إلى اللحظة الأخيرة الممكنة يصبح هو الاختيار الأفضل والأوجب ، ولا سيما حينما يكون الأطفال معلّقين بالوالدين أو بأحدهما. ولا ينبغي أن ننسى أن الحياة في أسرة مستقرة حقٌ أصلي من حقوق الطفولة لا ينبغي الاستهانة به أبداً.

إن هذه مشكلة صعبة حقاً ، لكنها ليست من أعقد المشكلات قاطبة. لنبدأ بالقسم الجيد منها :

(أ) أنت امرأة متزّنة عاقلة متفهّمة ، استطعت أن تفهمي مشكلة زوجك بشكل جيد ، وأبدت رغبة صادقة في علاجه وصبراً محموداً على هذا العلاج ، ومن الواضح أيضاً أنك وفية ومخلصة ، وهذا أمر تؤجّرين عليه في الآخرة وأرجو أن يساعدك في الدنيا بإذن الله.

(ب) أهل الزوج متفهّمون ومتعاونون ، وهي حالة غير شائعة ، فالمشهور في مثل هذه الحالات

أن يميل الأهل مع ابنهم -على ما به من علل- وأن يتعاطفوا معه ويتخذوا الكنة خصماً. ولا تسأليني لماذا، فإننا نعيش في دار ظلم لا دار عدل، وما أقلّ المُنصفين فيها وما أكثرَ الباغين، فاحمدي الله الذي جعل أحماءك (أهل زوجك) من المنصفين لا من الباغين.

(ج) زوجك -كما وصفته- طيب وعاطفي ومُحِبّ، وهو متشبث بك ولا يريد الطلاق، وهذه نقطة قوة في العلاج بإذن الله.

(د) المرض عمره قصير، فقد بدأت الحالة منذ سنتين فقط كما تقولين، مع أنكما متزوجان منذ ست سنوات، وهذا يعني أن المرض ليست له جذور وراثية وأنه ليس مرضاً مزمنًا، فإنّ أكثر من نصف المصابين بمثل هذه العلل تمتد إصابتهم إلى مراحل الطفولة المبكرة.

أما القسم السيئ من المشكلة (الذي تعرفينه بشكل جيد وقد أشرت إليه بوضوح) فهو تمنّع زوجك ومقاومته للعلاج.

(٣)

التشخيص

لنشخص المشكلة أولاً: لقد كان وصفك للمشكلة واضحاً وواضحاً، وهو يدل على ثقافة ووعي قليلين في الناس. من هذا الوصف نستطيع الجزم بأن زوجك يعاني من حالة «وسواس قهري» اتخذت من جانب الشك والغيرة متنفساً لها. وهل تعرفين ما هو الوسواس القهري؟ كما يبدو من اسمه فإنه حالة عقلية تسيطر على المرء بصورة لا إرادية، أي أن المرء يفقد القدرة على صدها أو رفضها أو منع عقله من الاستجابة لها، وهذه الحالة ليست من النوع «الطبيعي» الذي يعتبره أسوياء الناس أمراً مقبولاً، بل هي أقرب إلى الشذوذ والغرابة.

على سبيل المثال: قد يصاب المريض بحالة عقلية يعاني فيها من «الخوف من الفقد» فيبدأ بادّخار وتخزين أشياء لا قيمة لها، كالمصاييح (اللمبات) المحترقة على سبيل المثال. وهو يدرك - غالباً - أنه يقوم بعمل غريب، لكنه لا يستطيع دفعه، لذلك نجده يخبئ هذه الأشياء في أماكن عجيبة حتى لا يعثر عليها أحد. وقد يتجه وسواس المريض إلى

عدم الثقة من إتمام العمل الذي يعمل به، فيعيد قفل الباب أكثر من مرة، ثم يعود إليه ويفحصه من جديد ليتأكد من قفله! وقد يستمر في جمع الأرقام مرات ومرات ولا يصل إلى الاطمئنان حتى لو تكررت النتيجة ذاتها... وقد يتمثل الوسواس في جانب من جوانب العبادة، فنرى المريض يعيد تكبيرة الإحرام عدة مرات قبل الشروع في الصلاة ظناً منه أن النية لم ترافق التكبيرة، أو يعيد غسل العضو الواحد في الوضوء عشر مرات يخشى أن الماء لم يبلغه^(١).

ولعلك لاحظت أنني -لما قلت أن المريض يدرك غرابة ما يقوم به- أنني استعملت كلمة «غالباً» ولم أطلق القول، ذلك لأن المصابين بالوسواس القهري على نوعين، أحدهما أهون من الآخر، وأخشى أن زوجك مصاب بالنوع الأصعب.

النوع الأول الأهون هو اضطراب يصيب

(١) مثل هذا الشخص سمّاه الفقهاء في كتبهم «مُوسِوساً»، كذا بكسر الواو الثانية على أنه اسم فاعل، والصواب -من فهمنا المعاصر للحالة النفسية- أن نسّميه «مُوسِوساً» بفتحها على أنه اسم مفعول، لأنه يقوم بعمل قسري لإرادتي كما رأينا قبل قليل.

الأفكار ويسمى «الأفكار التسلطية»، ويتسبب في سلوك غريب ينشأ عن تلك الأفكار المعتقدة. **النوع الثاني الأصعب هو «الوُهام»^(١)**، وكما يوحي اسمه فإنه مرض يتوهم المريض فيه غير الحقيقة. ومن أشكاله الموصوفة في الطب النفسي نوع ينطبق على حالتنا هذه ويدعى «الغيرة الوُهامية» أو «وُهام الخيانة الزوجية»، وهو اضطراب عقلي معروف تنشأ عنه الأعراض التي وصفتها في رسالتك، بعضها أو كلها، أو غيرها أحياناً.

لماذا اعتبرنا النوع الثاني أهون من الأول؟ لأن المريض المبتلى به يدرك أن الفكرة التي سيطرت

(١) هذه فائدة لغوية في السياق: كثير من أسماء الأمراض تأتي في اللغة العربية على وزن «فُعَال»، فقد سُمعت عن العرب ألفاظ مثل صُدَاع وسُعَال وزُكَام وبُحَاح ودُؤَار وهُلَاس (وهو مرض السُّلّ) وفُوق وخُنَاق، إلخ، ومن ثَمَّ فقد أقرّ مجمع اللغة العربية في مصر قياسية هذه الصيغة مطلقاً لكل داء أو مرض (من «فَعَل» اللازم المفتوح العين). وعليه فإن كلمة «الوُهام» يُفْهَم منها على الفور أنها تعبير عن مرض نفسي عَرَضه الرئيسي هو «سيطرة الوُهام على عقل المريض».

على عقله -قسراً ورغماً عنه- فكرة غير صحيحة، لكنها تتسلط عليه بقوة لا يستطيع قهرها. فهي تسلطية وقهرية لكنها غير مضللة، فنراه مثلاً على يقين من أنه قد تطهر بالاستنجاء على الوجه الشرعي المطلوب، لكنه يعيد الأمر مرّة بعد مرّة، ويزداد الضغط النفسي عليه شدّة وهو يسمع صياح المنتظرين في الخارج يريدون كلهم دورة المياه التي شغلها لوقت طويل (لا سيما إذا كان في مكان عام مزدحم، كحمامات المشاعر في الحج مثلاً) لكنه لا يستطيع حسم أمره والمغادرة!

من الواضح أن زوجك لا ينتمي إلى مرضى هذا النوع (الأفكار التسلطية) بل إلى النوع الأول (الوُهام) وهذا هو السبب الذي يجعله رافضاً للعلاج، بل مقاوماً له من حيث المبدأ. وهذا الرفض يعقّد الموضوع بلا ريب، لكنني سوف أطمئنك: إن هذه الحالة لا تبدو من النوع الخفيف، لكنها ليست من النوع الشديد المتطرف أيضاً بحمد الله. انظري إلى درجة الحرية الذي ما زلت تتمتعين بها: لقد سمح لك بالسفر والإقامة بعيداً عنه، وهذا بذاته دليل على درجة غير متطرفة من الغيرة.

إن الغيرة في حدّها المَرَضِي الأقصى تغدو غير محتملة أبداً، وقد يكون من أعراضها أن يحبس الزوج زوجته في البيت ويقفل عليها الباب بالمفتاح ويصادر كل وسائل الاتصال الممكنة من بين يديها، بل إنها قد تصل -في بعض الحالات المَرَضِيّة المتطرفة- إلى الإيذاء الجسدي، وهذا أيضاً يتفاوت بين الضرب والإهانة في كثير من الأحيان، وصولاً إلى القتل! لا تستغربي، إنها درجة من «الاضطراب العقلي الحاد» يسجّل الأطباء في العالم عدداً منها كل عام، ولعل حالة الشاعر المشهور «ديك الجن» الذي قتل جاريته «دُنْيا» -خوفاً من أن تقع عليها عين رجل سواه- كانت من هذا النوع الشاذ الخطير! هذا إذا صدقت في قصته الأخبارُ.

(٤)

العلاج

ما سبق هو التشخيص، وهو -كما ترين- ليس مشجّعاً جداً لكنه ليس مُؤيِّساً بالتأكيد. وما العلاج؟ أولاً تفاءلي وانظري إلى العناصر الإيجابية في المشكلة، وقد بدأت حديثي بها، وأضيفُ إليها الآن الأهم: هذه الحالة معروفة جداً في الطب النفسي

ولها علاج جيد إن شاء الله، نجح بنسبة تجاوزت تسعين بالمئة في كثير من الحالات. وأقترح عليك أن تمشي في طريقين من طرق العلاج في آنٍ معاً:

(١) اتجهي إلى الله الذي هو الشافي من كل داء، ما علمنا من الأدواء وما لم نعلم، فادعيه في كل يوم وفي كل ساعة من ساعات الصفاء. وهذا رمضان شهر الطاعة والمغفرة، فعسى أن تكوني فيه إلى الله أقرب وإلى إجابة الدعاء أدنى، فاسألي الله لزوجك الشفاء ولكما التوفيق في حياة زوجية سعيدة في هذه الدنيا وعيشة رضية في دار النعيم في الآخرة. وأكثرني من الرقي بكل ما تعرفين من آيات وأدعية، وعلى رأسها الفاتحة وآية الكرسي والمعوذات، وكلها وردت فيها أحاديث صحيحة لا أريد أن أطيل جوابي هذا بذكرها، تجدينها في مظانها من كتب الأدعية والحديث، بل أنت أعلم بها مني وأنت طالبة الماجستير في الدراسات الإسلامية، وفقك الله.

(٢) الدعاء والرقية هما أحد وجهي العلاج من كل داء، وإنني لأفزع إليهما حتى فيما ظاهره المرض العضوي الصريح، كالصداع وألم المفاصل وسواهما، لكنني ألجأ إليهما وأنا أفتح علبة الأقراص

وأتناول قرصين من الباراسيتامول وأرى أنني بذلك أهتدي بهدي ديننا العظيم الذي أمرنا نبيّه الكريم بالتداوي والبحث عن الدواء، وأتناول القرصين وأنا على يقين من أنهما يُذهبان الصداع بأمر الله وبقدرة الله.

وكذلك أنت افعلي: لا تستسلمي، بل احرصي على علاج زوجك علاجاً طيباً حقيقياً بأيدي أطباء نفسيين ثقات ومحترفين. وألقي بالعبء الأكبر في هذا الأمر على أهله، أيّه خاصة ومن له تأثير فيه، لا عليك ولا على أهلك، فإنه سوف يتقبل ذلك منهم أكثر من تقبله منكم، وهذا سيخفف الضغط النفسي عليك في هذه المرحلة. وتذكري: إن سلامتك النفسية مهمة جداً لتمدّي إليه يد العون، ولو أنك ضعفت أو أصابك خلل نفسي - لا قدر الله - فسوف تتعقد الأمور كثيراً.

إن العلاج لا يقوم به هواة قطعاً ولا يمكن تقديمه من بُعد، بل لا بد من طبيب نفسي يطّلع على الحالة ويجتهد في مداواتها. وأنا أرجو أن تتأكّدوا - أنت أو غيرك ممّن سيراجع الطبيب - من تزويده بالمعلومات الكاملة، وأحسب أن من الجزئيات

المهمة التي ستساعده على تحليل المشكلة ووصف
العلاج معرفة العمر القصير للمرض من ناحية،
ومعرفة المستوى الثقافي لكل منكما، فأنت قريبة
من الحصول على درجة الماجستير وهو حاصل على
الثانوية لا غير، وما لم أكن مخطئاً فإن هذه الجزئية
قد تكون هي القادح الرئيسي للمرض، لكنني لا
أستطيع الجزم بسبب بعدي عن الوصف التاريخي
الدقيق للحالة.

أسأل الله له العافية، وأن يردّ السعادة والتفاهم
إلى حياتكما ويجمعكما على طاعته ومرضاته.

* * *

الخشية من خيانة الزوجة

أنا شاب متزوج من سنتين ، ولم يكن بيني وبين زوجتي أي علاقه قبل الزواج ، وأنجبنا بنتاً عمرها الآن أربعة أشهر . من نحو شهرين لاحظت تغيراً في سلوك زوجتي تجاهي اتسم بالبرود والنفور ، لا أعرف لماذا ، علماً بأنه لم يكن بيننا أي خلافات . ومنذ فترة ليست بعيدة وجدت في جوالها رقماً لا يحمل اسماً فاتصلت به من جوالها ، فوجدت رجلاً يردّ عليّ قائلاً: هلا حبيبتى ، وين الغيبة؟ صُدمت ودارت بي الأرض ، وخرجت من البيت هائماً على وجهي ، ولم أستطع حتى أن أعود وأناقشها بالأمر . فقدت ثقتي في كل شيء ويئست من كل شيء إلا رحمة الله تعالى . وأنا الآن في منزل آخر وحالي لا يعلمه إلا الله ، ولا أدري ماذا أفعل . هل أرجع؟ وإلى من أرجع؟ إلى من خانت ثقتي واستخفّت بمراقبة الله؟

إذا سلّمنا بأنّ ما ذكر في هذا السؤال حقائق ثابتة لا هي ظنون ولا أوهام (وهو ما يبدو من السياق) فإن المشكلة من الحجم الكبير جداً، ووصفها من الحجم الصغير جداً! وددتُ لو أنني عرفت تفصيلاً

أكثر، عن مستوى تديّنك وتديّن زوجتك والالتزام الشرعي لكل منكما، وكذلك مستوى تديّن العائلتين، وهل تزوجتُك زوجتُك مختارة أم أكرهها أهلها على الزواج بك؟ هل كانت علاقتكما جيدة في البداية؟ هل قصّرت أنت في علاقاتك الزوجية معها أو فترَ اهتمامك العاطفيّ بها؟ هل انشغلت عنها بعملك أو بأصحابك؟ هل تغيبُ عنها النهار وتأتيها في آخر الليل لتراها سويعة أو نحوها، أم أنك تسافر وتركها بالأيام والأسابيع؟

أما وقد جهلتُ هذا كله فسوف أقفز من فوقه وأجيب جواباً عاماً، وإن كنت أستشفّ من صيغة السؤال أن مستوى الالتزام الديني متوسط، لأنك قلت في أول سؤالك أنك تزوجت زوجتك بغير علاقة سابقة بينكما، وكأن هذا أمر فيه أكثر من رأي. وهل يسمح الشرع بعلاقة بين الزوجين قبل الزواج؟ بل هل يسمح بما نراه في بعض المسلسلات التلفازية من خروج الخاطب مع خطيبته (أي الخطيبين بالتعبير العامي لا الشرعي، وليس ثمة عقدٌ يربط بينهما) في نزهة ليس معهما أحدٌ من أهله أو من أهلها، أو بخلوتهما معاً لا ثالثَ لهما؟ إنما سمح الشرع

للخاطب برؤية شرعية في حدودِ فصلتها المذاهب،
ولم يصل أيسرها إلى جواز الخلوة أبداً، ناهيك عن
علاقة، كائنةً هذه العلاقة ما تكون!



دعنا من هذا كله الآن ولنتحدث في مشكلتك.
الخطوة الأولى هي التوثق من الظنون. لو اقتصر
الأمر على رقم غريب لقلتُ أنه يمكن أن يكون
بسبب معاكسة عابرة، وهو أمر شائع في مجتمع كثر
فيه الفاسدون، لكن اجتماع الأعراض الأخرى (التي
وصفتها) مع هذه الحادثة يزيد من احتمال صحة
الشكوك التي أقلقتك. على أنها تبقى -رغم ذلك-
مجرد شكوك، ولا يصحّ أن تبني على الشك علاجاً
صعباً قد يكسر العلاقة بينكما كسراً لا جبر بعده،
إنما يُبنى مثلُ هذا العلاج على يقين.

ابدل غاية الجهد في السؤال والبحث
والاستقصاء حتى تقطع الشك وتثبت من ظنونك
وتتأكد أنها تتصل برجال أجنب من وراء ظهرك.
فإذا وصلت إلى اليقين (اليقين وليس الشك والظن)
فماذا تفعل؟ لولا أن بينكما طفلة عقدت الأمور

لسمعتَ مني الجواب في خمسة أحرف لا تزيد ولا تنقص: «طَلَّقْهَا»، أما وهذه الطفلة قد وُلدت فلا أجد إلا الحل الأعقد والأصعب والأطول، حلاً سوف يستنزف الكثير من وقتك وجهدك وأعصابك، فإن كنت مستعداً له فذاك، وإلا فعدْ إلى الكلمة السابقة ذات الأحرف الخمسة فهي الدواء.

إن وجدتَ في نفسك القدرة فامض في العلاج. استعن بالله واطلب منه التوفيق، ثم رتب أفكارك وهدئ انفعالك الذي بدا شديداً في رسالتك، والذي ينبغي أن يكون شديداً حقاً. ثم اذهب إلى بيتك وأغلق الباب عليك وعلى زوجتك وتحدث معها بكل الوضوح الذي تستطيعه وبغاية الصرامة التي تملكها. قل لها: أنا عرفت أنك على علاقة ببعض الرجال الأجانب واطَّلَعْتُ على بعض التفاصيل المُفجعة، وأريد أن أسمع منك القصة كاملةً من أولها إلى آخرها وبكل تفاصيلها وجزئياتها، وحذارٍ من إخفاء أي جزء من القصة، فلو أنك أخفيت عني معلومة واحدة أعرفها فسوف أشك أنك تخفين عشرين غيرها، ولن أثق بك أبداً.



الذي أتوقعه من مواجهة كهذه أن تحصل من زوجتك على واحد من ردّي الفعل الآتين: (أ) أن تملص وتنكر الأمر إنكاراً تاماً. (ب) أن تنهار وتبدأ بالاعتراف. إذا حصل الأمر الأول فلا مناص من القفز فوراً إلى الحل النهائي الذي أشرت إليه في البداية، وهو الطلاق والفراق، أما إذا حصل الثاني فحافظ على رباطة جأشك واستمرّ بالقوة التي بدأت بها، لكن مع إظهار بعض التشجيع الذي من شأنه أن يساعد على تدفّق الحديث.

استمع بلا مقاطعات حتى النهاية، وفي الختام فكر بسرعة لتقدير الموقف: هل كان حديثها صريحاً صادقاً ولم تُخفِ أي جزء من الحقيقة؟ ما هي الدرجة التي وصلت إليها في علاقتها (هل اقتصرت على الاتصال الهاتفي أم تجاوزته إلى اللقاء)؟ كم مضى عليها؟ هل تحسّ بالخجل أم أنها لا تبالي بما صنعت؟ هل تشعر بالندم أم هي مصرّة على ذنبها؟ والسؤال الأخير: لماذا صنعت ما صنعت أصلاً؟

كما ترى فإن هذه الأسئلة كثيرة، لكن أجوبتها كلها تكوّن الصورة الكاملة، وأنت وحدك الذي يستطيع تقدير الموقف وإصدار الحكم: هل حُسم

الموضوع أم ما يزال طريق الرجعة مفتوحاً؟ أستطيع أن أتخيل بعض الإجابات التي تساعد على حسم الموضوع واختيار الفراق: (أ) لو وجدتَها مُصِرَّةً غيرَ نادمة ولا خَجَلَة بصنيعها. (ب) لو وجدتَ أن العلاقة قد تجاوزت المراحل الأولية المقتصرة على الاتصال المُبهم برجل مجهول ووصلت إلى اللقاء أو إلى ما بعد اللقاء. (ج) إذا كانت قد أمضت في هذه المغامرات مدة طويلة، نصف سنة مثلاً. (د) إذا كان سبب هذا كله هو أنها تكرهك ولا تريد الاستمرار في الحياة معك.



لو أنك اكتشفت واحداً أو أكثر من واحد من هذه الأمور فنصيحتي لك هي إنهاء الزواج على الفور، أما إذا وجدت تردداً وندماً ولمست النية الصادقة في معالجة هذا الخطأ، ولا سيما إذا اكتشفت أن هذا كله منشؤه انشغالك وتقصيرك في واجباتك الزوجية أو انصرافك عنها وتركها فريسة للفراغ والملل، فابدأ بالعلاج.

اطرح شروطك بصراحة ووضوح: (أ) الإقرار بالخطأ والتصريح بالاعتذار الفوري وإظهار الندم

الصادق. (ب) القسم بأغلظ الأيمان على قطع كل علاقة حاضرة وعدم الإقدام على أي اتصال خفي بأي رجل أجنبي إلى آخر العمر. (ج) الموافقة على بقائها تحت المراقبة العلنية بلا تدمير ولا اعتراض لمدة أنت وحدك من يحددها، وقد تطول سنة أو سنوات، حتى يعود إلى قلبك الاطمئنان المفقود.

هذا ليس كل شيء ولا هو نهاية العلاج، بل هو البداية. بعد ذلك عليك أن تنفذ عدة أشياء معاً وأن تثابر عليها بلا ملل ولا كلل ولو طال الزمن: (أ) غيّر نمط حياتك لتصبح أفعالك غير معلنة ولا متوقّعة، فلا تجعل لمغادرة البيت وقتاً محدداً ولا للعودة وقتاً معروفاً. عُدْ إلى البيت مرّةً ظهراً ومرّةً ضحى، ومرّةً ليلاً ومرّةً نهاراً، وإذا كان عملك يقتضي السفر والغياب الطويل فغيّر طبيعة عملك. (ب) افتح عينيك على الدوام وراقب كل ما يجري ولا تسمح بأي أسرار في حياة زوجتك. (ج) شغل كل حواسك للاستشعار المبكر، بحيث ترصد أي تغيير في سلوك زوجتك أو في مشاعرها، وتقصّ أي تغيير مهما كان بسيطاً.

هذه الثلاث السابقة إجراءات وقائية مهمة حتى

لا تتكرر الفاجعة في المستقبل لا سمح الله، ولكنها ليست هي جوهر العلاج، بل إن جوهره وأساسه هو ترميم علاقتك بزوجتك وتدارك أي قصور قد يكون جاء من طرفك فتسبب في إعراضها عنك وبحثها عن العاطفة والاهتمام في مكان آخر. قم بواجباتك الزوجية كاملة واملأ الفراغ العاطفي لزوجتك. اقرأ بعض الكتب التي تساعدك على فهم نفسية المرأة ومشاعرها، وإذا استطعت فاشترك في دورات عن العلاقات الزوجية الناجحة أو ثابر على سماع مواد مسجلة في هذا الشأن، وهي كثيرة بحمد الله.



كلمة أخيرة لا أوجهها إليك، بل إلى سواك من الأزواج الذين يعيشون حياة آمنة طبيعية، وهم السواد الأعظم بحمد الله: أرجو أن لا يتفق لأحد منكم أن يقرأ هذه المشكلة وجوابها فيبدأ بتطبيق الوصفة السابقة «من باب الوقاية» كما يظن، لا من باب العلاج، فإنها وصفة قاسية لعلاج علة قاتلة؛ إنها كالعلاج بالإشعاع الذي يصفونه لمرضى السرطان، يقتل كثيراً من الخلايا النافعة ليصيب الخلايا القاتلة، فهو علاج مؤذٍ لكنه يُحتمل لدفع ما هو أشد أذى.

فليحذر أي زوج عاقل من الشكّ بزوجته
أو مراقبتها ومحاصرتها ما دامت تعيش معه حياة
طبيعية، فإن الشكّ يقتل الودّ وإن الإخراج يقود إلى
الإخراج، والتجسس على الزوجة والاطلاع على
أسرارها بغير علمها ورضاها لا يجوز شرعاً ولا
خُلُقاً، فالأصل أن الزوجة الصالحة أهلٌ للثقة بها
والاطمئنان إليها، وكذلك هنّ عامة نساءنا المؤمنات
الديّانات الصيّّات بحمد الله.



رجل متوحش يضرب زوجته

كتب إليّ أبّ مكلوم يقول أنه زوّج ابنته شاباً
غرّه منه ما عُرف عنه من تدين وصلاة وصيام،
فلم يلبث إلا قليلاً حتى اكتشف أن الرجل قد
جمع في قلبه من القسوة ما تكاد تعجز عن
حمله قلوبُ عشرة من قُساء الرجال، فهو لا
يكتفي باحتقار البنت والاستهانة بها والخطّ
من كرامتها، بل يعتدي عليها أيضاً بالضرب
الشديد في اليوم بعد اليوم، فلا تأتي لزيارة
أهلها إلا بكدمات وجراحات، حتى بلغ منه
أن كسر لها عظماً في الذراع، وكلما ذكره بالله
واستحلفه بالله أن يكفّ زاد. ثم يسألني عن
رأيي ورأي الشرع في مثل هذا الرجل وفي
مثل هذه الأفعال؟

تسأل عن رأي الشرع يا أخا الإسلام؟ إنما
حَكَمَ الشرع بين الناس، لم يحكم بين الوحوش!
وتذكره بالله فلا يتذكر ولا يكفّ؟ ومن أين يتذكر
والذكرى لا تصلح إلا لمن تنطوي جوانحه على
قلب، لأن الخطاب الربّاني لا يفقهه إلا أصحاب
القلوب: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾؟
فماذا نصنع بمن حرمه الله من القلب الرحيم؟

لا أدري عنك لِمَ سَكَتَ وتركت هذا الوحش
يفعل بابتك الأفاعيل! أما أنا فلو كانت لي بنتٌ
فزوّجتها ثم علمت أن زوجها ضربها لما سمحت بأن
تبقى عنده أبداً. لن أهدم البيت من أول مرة وسأمنحه
فرصة لأن هدم الأسرة أمر كبير خطير، ولكن أكبرُ
منه وأخطرُ أن تتحول العلاقة الزوجية التي بناها خالق
الأنفس على المودة والرحمة والسكن ﴿لِتَسْكُنُوا﴾
إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة ﴿لِتُحِبُّوا﴾ أن تتحول هذه
العلاقة النبيلة إلى علاقة ضحية وجلاد. سوف أمنح
الرجل فرصة واحدة لا تكرر لها، فإذا ضرب مرة
أخرى قطعت العلاقة قطع الأبد.

وأنا ليس لي بنات ولكنّ لي أبناء متزوجين،
وزوجاتُ أبنائي في مقام بناتي، وإني لم أُرَبِّ
وحوشاً بحمد الله بل أناسي كرامَ الخلق، ولكني
أتخيل أبعد الخيالات، أتخيل المستحيل فأتصور لو
أن أحدهم مدَّ يده يوماً إلى زوجته لا قدّر الله، أكنت
أسكت وأتركه ليمضي في الظلم والعدوان؟

لا والله لا أفعل، ولا يفعل ذلك إلا عديمُ
المروءة والإحساس.

* * *

يُحصل أحياناً أن يفرّ وحش من الوحوش من حديقة الحيوانات، ثم يتزوّج بزي بني آدم ويندسّ وسطهم حتى يحسبوه منهم، وما هو منهم، ويغرّهم فيخطب إليهم فيزوجه بعضهم ابنته، فلا يمرّ غير وقت قصير حتى تكتشف البنت ويكتشف أهلها أنهم إنما زوّجوا وحشاً من الوحوش أو سبعاً من السباع لا رجلاً من الإنس! بل إنا لنظلم الوحوش والسباع إذا نحن نسبنا إليهم بعض هؤلاء «الناس»، فما في الوحوش من يتلذذ بتعذيب أبناء جنسه ولا فيها من مات قلبه حتى لا ينبض نبضة رحمة.

فدعوا عنكم وصف أمثال هؤلاء المجرمين بالوحوش وابتحوا عن اسم آخر أصلح لوصفهم. أما مكانهم الذي يليق بهم فليس بيوت البشر بل الإصلاحيات والسجون، فما الفرق بين مجرم يعتدي على ابنتك بالضرب والرفس ويكسر رجلها أو يدها، ما الفرق بين مجرم كهذا يحمل في يده وثيقة زواج ومجرم لا يحملها؟ أحلّل للأول هذا العقد أن يعتدي عليها ويبطش بها وحرّم على الثاني أن يفعل بها ذلك أنه ليس في يده عقد؟

وهل هو عقد زواج، والزواج رحمة وسكينة،

أم عقد استرقاق وتعذيب؟ ولا والله لا يرضى
الإسلام للمسترق أن يصنع ذلك بالعبيد والإماء،
فمن أين زعم هؤلاء المعتوهون أن الدين سمح لهم
صنعه بالحرائر الكريمات من بنات المسلمين؟

يا أيها الأقوياء: تذكروا أن القوة لا تدوم وأن
الله سينتقم لكل مظلوم من كل ظالم. إن كنتم رجالاً
حقاً فاقتدوا بهذي أرجل الرجال، واعلموا أن
الرجولة الحقيقية هي مقارعة الأقوياء لا ضرب امرأة
ضعيفة عزلاء.

وأما أنت يا أيها الأب المكلوم فلا أرى لك
غير طريق واحد: أن تجتمع بهذا المخلوق اجتماعاً
صارماً تنذره فيه بالتوقف الفوري عن هذه الممارسة
الوحشية، فإن عاد فخذ ابنتك إليك وارفع عليه
في المحكمة دعوى تفريق بعد إثبات أذاه بمحضر
رسمي في المخفر أو المستشفى، ومهما تكن نتيجة
التفريق المادية والمعنوية فهي خيرٌ من استمرار حياة
المرأة والأطفال بهذه الطريقة التي لا تختلف عن
حياة المعذبين في سجون الظالمين.

* * *

التعامل مع زوجة جاحدة

أنا زوج وأب لثلاثة أطفال ، قاربت الأربعين وأعمل في وظيفة مرموقة. حينما تزوجت لم أختَرُ أياً من من قريباتي أو زميلاتي في العمل ، بل حرصت على أن تختار لي أُمِّي فتاة تعرف والدتها بحكم صداقة قديمة بينهما ، حرصاً مني على حسن أخلاق الزوجة ولتكون موضع ثقة أُمِّي واحترامها.

تزوجتها ، ومرّت عدة سنوات دون عقبات أو مشكلات تُذكر ، ولكن زوجتي بدأت تتغير بعد إنجاب ابنا الثاني ، فما عادت زوجتي التي عرفتها بل أصبحت شديدة العصبية ، فلا تنتقي ألفاظها معي وتعاملني بكل امتهان واحتقار ، حتى أمام والديّ ، وتنعتني بأبشع الصفات وتُسمعني من قبيح الكلام ما لا يحتمله رجل أو تقبله كرامته.

صبرت عليها كثيراً وعذرتها ، قلت : ربما أعباء المنزل والأطفال. لكن الوضع استمر بالسوء ، وذات يوم لم تسيطر على نفسها فانطلق منها سيل من الشتائم التي يندى لها الجبين في حقي وحق أهلي ، ولم أشأ أن أؤذيها فتمالكت

أعصابي حتى لا أفعل شيئاً أندم عليه. بعدها
جلست معها نتحدث بهدوء عما آل إليه حالنا،
ولكن هيهات! أخذت تعدّد عيوبي وتعدد
مزايها قائلة أنني لم أكن الرجل المناسب لها.
علماً أنني (ويعلم الله) لم أقصّر أبداً في حقها.
بل إنها منّت عليّ بأنها أنجبت لي ذكوراً!
وكأنها هي من خلقتهم، أستغفر الله، وكأن
أحداً سواها لم ينبج ذكوراً قبلها!

لقد تعبت وتحملتُها كثيراً والتمست لها
أعذاراً كثيرة لعلّها تتغير. تهينني فلا أرحمها،
وتخطئ بحقي فأحمل لها الهدايا في محاولة
لإصلاحها، وتحذّثني نفسي بأنها لا بد أن
تتغير يوماً ما. لكنني لم أعد أحتمل بعدما
صارَت تهينني أمام أولادي الذين صاروا
يستخفّون بي ولا يحترموني بسبب ما يرونه
من أمهم. فماذا أفعل بحيث لا أكون ظالماً
لها أو منتهكاً لحقوقها لأن النبي عليه الصلاة
والسلام أوصانا خيراً بالنساء؟

- ١ -

ما كان ينبغي لمشكلتك أن تكون كبيرة، لكنك
أنت جعلتها كذلك. أرجو أن لا تؤذيك صراحتي

ولكن العلاج يقتضي الصراحة والوضوح. أنت اجتهدت في رسالتك أن تقدم نفسك على أنك رجل لطيف، والحقيقة أنك رجل ضعيف. وأنت بضعفك لم تضيّع حقك فقط، بل ضيعت معه حق زوجتك لأن من حق الزوجة على زوجها أن يكون قوياً راعياً، وضيّعتَ حق أولادك لأن من حق الأبناء على أبيهم أن يكون رجلاً ذا مهابة واحترام.

لا يا صاحبي، ليس هذا من عمل اللطفاء، إنما هو من عمل الضعفاء، ولا تظلم النبي عليه الصلاة والسلام بظنّك أنه يرضى بصنيعك هذا، فالهذّي النبوي الكريم العظيم يحثّ الرجال على احترام النساء وإكرامهنّ وعدم ظلمهن، لكنه لا يطالبهم بالضعف معهنّ ولا أن يحتملوا منهن الظلم والعدوان!

على أنني لن أسرف في لومك، فهذا أمر مضيّ ويكفي أنك قد دفعت ثمناً فادحاً لقاء تقصيرك، وحسنٌ أنك أدركت أخيراً أن هذا الوضع المعوجّ لا ينبغي له أن يبقى بلا علاج، فلننتقل إلى العلاج.

لكنّي أحذّرك قبل أن تمضي في القراءة: لقد استغرق الداء سنوات وهو يقوّى ويستفحل، فلا

تتوقع أن يحسم العلاج المرض في أسبوع أو في شهر، بل هو قد يمتد شهوراً، وربما سنوات.

التحذير الآخر أهم بكثير: إذا آنست في نفسك المقدرة على المضي في العلاج إلى آخره فابدأ به، وإلا فدعه واستسلم لحياتك في صورتها التي هي عليها الآن، فإنك إن بدأت العلاج ثم قطعتة في وسطه آلت أمورُك إلى حال أسوأ مما هي عليه اليوم، أما إذا ثابرت عليه إلى آخره فإني لأرجو له النجاح إن شاء الله.

-٢-

سوف تسمع من زوجتك كلمات تؤذيك اليوم أو غداً، فهذا أمر متكرر كما فهمت. في أول مرة قادمة يحصل فيها أمرٌ كهذا ابدأ بالعلاج. اتخذ غاية ما تستطيع من هيئة الجدِّ وخاطبها بصرامة لم تألفها منك منذ تزوجتها، وقل لها كلمات قليلة واضحة، وربما اضطرت إلى إعادتها للتأكيد. قل: لقد صبرتُ عليك كثيراً لأنني ظننت أنك من الكرام الذين إذا أكرمهم المرء أثمرَ معهم الإكرام، إلا أنني كنت مخطئاً، وقد بلغتِ الغاية في السفاهة وبلغتِ الغاية في الاحتمال، وإنني أحذرك: إن كررت طريقتك هذه

معي من بعد فلا تلوميني على ما أصنع.

لا أظنها سمعت منك كلمات أو لهجة كهذه منذ زواجكما، فإما أن تلجمها المفاجأة فتلوذ بالصمت وتتأجل بداية العلاج إلى الجولة التالية، أو ينفجر البركان فيبدأ العلاج على الفور. في كل الأحوال ستأتي الحادثة التالية التي تستوجب تنفيذ تهديدك عاجلاً أو آجلاً، فكن مستعداً.

التجاوز التالي هو البداية الحقيقية للعلاج، بعد الإنذار الواضح الصريح الذي وجهته في المرة الأولى.

عندما تسمع منها ما يؤذيك لا تقل كلمة ولا تبقَ أمامها، بل اتركها وانصرف عنها، وابدأ من فورك بالمقاطعة الكاملة: مقاطعة في الكلام، فلا تتحدث إليها؛ وفي الاهتمام، فلا تكثر بها؛ وفي المال، فلا تسلمها قرشاً (وإذا كان من عادتك أن تحتفظ بمالك في بيتك فاحفظه في هذه المرحلة في مكان آخر)؛ وفي الفراش، فاهجرها هجراً كاملاً، وإذا كان وضع البيت يسمح لك بالاستقلال بغرفة خاصة فاتركها واسكن في غرفة مستقلة ثقفل بالمفتاح بابها كلما دخلت إليها أو خرجت منها.

ها قد بدأ العلاج إذن وها قد عرفت أسلوبه ،
ومن هنا سننطلق . سوف تصبح زوجتك كالشبح في
بيتك ، كائناً لا تراه ولا تسمعه ، تغادر البيت وتعود
إليه فلا تلقي عليها السلام ، وتمكث فيه الساعات
فلا تنظر إلى وجهها ولا توجه إليها كلمة ولا تسألها
سؤالاً ولا تطلب منها أي طلب .

ولعلك لاحظت - ضمناً - أنك ينبغي أن
تستغني عن «خدماتها» كلها ، لأن الحاجة ضعف ،
فلا تكثرث أطبخت لك طعاماً أم لم تطبخ ،
فالمطاعم كثيرة ؛ ولا تهتم أغسلت ملابسك وكوتها
أم لم تفعل ، فإنه عمل سهل يعمله أي كواء . والأهم
من ذلك كله أن لا تحتاج إليها زوجياً ، وهذه نقطة
الضعف التي يسقط فيها أكثر الرجال في مثل هذا
العلاج المتعب الطويل .

على أنك لن تُميتها هي والأولاد جوعاً ، بل
إنك سوف تستمر بإحضار ما يلزم من الأطعمة
للطبخ ، لكنك تستطيع أن تكسب نقاطاً إضافية
حتى في هذه : تعمّد إحضار الأطعمة التي لا تحبها
زوجتك ، أو على الأقل تجنب إحضار ما تحب ، ولا

تحضر إلى البيت أياً من الكماليات والطيبات التي لا يضر الاستغناء عنها. وتذكر دائماً: أنت تُحضر الأغراض وتضعها في البيت في تناول زوجتك، لكنك لا تسلمها نقوداً أبداً، ولا قرشاً ولا نصف قرش.

-٤-

يوماً ما ستضعف زوجتك وتستسلم، فهي لن تقوى على مقاومة هذه المقاطعة وهذا الحصار إلى الأبد. ماذا سيحصل عندها؟ سترسل إشارة اعتذار تتفاوت بين الوضوح والغموض، إشارة خافتة أو صارخة، لا يهم، المهم أن تستفيد من هذه الفرصة المنتظرة. استجب لاعتذارها إذا اعتذرت، ولكن ثابر على صرامة ملامحك وقوة لهجتك، وقل لها أنك قبلت الاعتذار وأنت ستعود إلى حياتك الطبيعية بشرط أن تعود هي زوجةً صالحةً كالزوجة الأولى التي عرفتها أول مرة، وأنت لن تسمح لها بأي تجاوز بعد ذلك، لا بالألفاظ ولا باللهجة ولا بالصوت المرتفع، وعفا الله عما سلف.

عد فوراً إلى حياتك الطبيعية وإلى مودتك وصفائك، ولكن لا تتخلّ عن حذرك أبداً، وكن

مستعداً للجولة التالية، وهي قادمة على الأغلب،
فإن مرضاً استشرى سنواتٍ لا يبرأ في أيام كما قلتُ
في مطلع كلامي.

ثم إذا عادت بعد ذلك إلى شراستها السابقة
فقل ثلاث كلمات ولا ترد: "هل كنا نمزح؟" أو قل
مثلاً: "أكنت تخدعيني إذن؟" ثم عد إلى ما كنت
عليه، بل زد عليه أن تتعمّد الغياب عن البيت ليلة أو
أكثر كل أسبوع، فإن ذلك سوف يثير شكها ويلهب
قلبها، ولن تستفيد من سؤالك لأنك لن تجيبها.

وهكذا يزداد العلاج جِداً وقسوة، فاستمرّ فيه
حتى نهاية هذه الجولة كما انتهت التي قبلها. على أنّ
نهاية هذه الجولة لن تكون بسهولة نهاية الأولى، بل
عليك أن تُظهر صرامة أكثر وتردداً في المصالحة،
وأن تُبدي شكك في صدقها معك والتزامها بوعدها
الذي قطعته من قبل، وفي نهاية الأمر أتوقع أن
تحصل منها على استسلام غير مشروط.

- ٥ -

هذه الجولات قد تتكرر مرات مفردة أو
عشرات من المرات، لا أنا أعلم عددها ولا أنت

تعلم، الله وحده يعلم، على أنّ عليك أن تثابر على العلاج بدقة مهما طال، وبعد كل خرق من طرفها اجتهد في جعل الأمور أصعب عليها بوسائل ابتكرها أنت لا أستطيعُ أنا أن أحَدِّدها لبعدي عنك وقلة معرفتي بتفصيلات حياتك.

القفزة الأخيرة المهمة في العلاج ستبدأ بعد مرور عدة أسابيع على آخر استسلام لزوجتك، فإذا ما طالت فترة الصفاء لأسابيع (وهذا مستبعد في الجولات الأولى) فمن المهم أن تبدأ بجلسات حوارية هادئة تبحث فيها مع زوجتك سبب انهيار علاقتكما الزوجية. فهي تأخذ عليك مآخذ كما فهمت من رسالتك، فتسلّح بقائمة من المآخذ التي تأخذها أنت عليها وابدأ بالحوار الأول، واحرص على أن يكون حواراً هادئاً موضوعياً، واستمع منها بصبر لكن احرص على أن تكون لهجتها مؤدبة، واعترف بعيوبك إن كانت حقاً فيك، لكن بيّن لها أنّ فيها هي أيضاً عيوباً توازي عيوبك أو تزيد عليها، وفصلها لها.

وقل لها أن العدل يوجب أن تقبلها وتقبلك وترضى بها وترضى بك، هكذا تقتضي المودة التي

زرعها الله في نفسيكما حين جمع بينكما بالزواج.
ولا بأس بأن تنتهيا إلى تعهد متبادل بأن يسعى كل
طرف إلى إصلاح عيوبه، مع التأكيد على الاحترام
المتبادل الذي سيصبح هو شعار الحياة الجديدة.

* * *

هذا عرض مبسّط جداً لإجراءات طويلة
معقدة، لكنه يمثل الشكل العام المطلوب للحل،
فأرجو أن تنجح فيه وأن يوفقك الله إلى استعادة
الحياة الزوجية المستقرة السعيدة. أمّا إذا حاولت
وثابرت على العلاج بإخلاص ومضت عليك سنة
أو أكثر من سنة ولم يتحقق لك النجاح فلا أتوقع
أن يستقيم الحال أبداً، وعندئذ عليك بواحد من
طريقين: الاستمرار في هذه المناورات إلى الأبد،
ويا لها من حياة! أو الكيّ الذي هو آخر العلاج،
وكيّ الزواج بثّه بالطلاق لا قدر الله.

* * *

كيف أهذب شراسة زوجتي؟

أشكو إلى الله من تقلب مزاج زوجتي ، فهي من أسرة ملتزمة ، لكنها ترفع صوتها عليّ بسبب أو بدون سبب ، وهي دائماً عابسة في وجهي ولا تتفاهم معي إلا بواسطة أمها ، لا تدعني أرتاح أبداً ، وإذا غضبت حطمت الأواني وخربت أغراض البيت. تحدثت مع أبيها وأمها في ذلك فلم ينجحا في ردعها ، وآخر ما وصلت إليه أنها رفعت يدها عليّ !

الآن هي عند أهلها منذ شهر ، علماً أنا هجرتها في الفراش قبل ذهابها لبيت أهلها لمدة عشرة أيام. وهي تحضر إلى المنزل لأخذ بعض الأغراض عند ذهابي إلى العمل وتكتب لي رسائل اعتذار. ولكن عن تجربة أقول إذا أنا قبلت الاعتذار سرعان ما تعود لسيرتها نفسها. صبرت كثيراً وتحملت إهانة وإذلالاً وسمعت منها من بداءة الكلام ما لم أسمعه في حياتي ، والتمست لها أعذاراً كثيرة لعلها تتغير ، لكنها لا تتغير. فماذا أصنع؟

أستطيع أن أقول -اعتماداً على الوصف الذي

قدّمته في رسالتك- أنك في وضع صعب، فقد كُتب عليك أن تصلح أخطاء غيرك، بل وأن تصلحها بعدما تفاقمت وتعاضمت. أرايت إلى النبتة الضاربة تخرج بين الشجيرات المثمرة، ماذا يصنع البستانيُّ بها؟ إنه يقتلعها حالما يلاحظها، وهو إذا مد يده لاقتلاعها لم يجد في ذلك أقلَّ صعوبة لأنها ما تزال نبتة صغيرة ضعيفة لمّا تَمُدَّ في الأرض جذورها، لكنه لو تركها عاماً أو اثنين فسوف تغلُظ ساقها وتقوى جذورها حتى ليصعب عليه اقتلاعها إلا بالجهد الجهيد.

هذا هو مثال الخلق السيِّ في الطفل: يكون صغيراً كما يكون كل شيء في الطفل صغيراً، يده ورجله وأنفه وأذنه، فإذا كبر كبرت أعضاؤه جميعاً. وكذلك عيوبه: تكون عنده في صغره بذرة أنانية مثلاً، ثم ينمو ويكبر فتتنمو البذرة وتكبر حتى تصبح نبتة صغيرة، وما يزال ينمو ويكبر وينمو معه عيبه ويكبر حتى يصبح آفة مستعصية على العلاج. قل مثل ذلك في الأنانية أو العدوانية أو الغيرة أو الجبن أو العناد... وقل مثله أيضاً في سوء الخلق.

وما هو سوء الخلق؟ هو الذي وصفته من سلوك زوجتك معك. إن الخلق السيِّ يشمل -فيما

يشمل- الصراخ والهياج والتلفظ بالألفاظ النابية والاعتداء باليد واللسان، ولعلّه هو ما يسميه عامة الناس «العصبية»، أي الانفعال الشديد الذي يُفقد صاحبه التحكم في نفسه، فيخرج منها أسوأ ما فيها على صورة أفعال وألفاظ سلبية أو عدوانية.

هذا أمر لم يبدأ بغتة، فلا هو ولا غيره من الطباع والأخلاق التي ذكرتها آنفاً يبدأ على حين غرة. هذه كلها طباع متجذرة في النفس، تبدأ بذورها مع الطفولة المبكرة وتزداد ظهوراً ووضوحاً كلما تقدم الطفل في العمر، وكلما تأخر الوالدون والمربّون في معالجة هذه الآفات في أولادهم كلما زادت تجذراً وتمكناً واستعصاء على التغيير والتبديل. لقد كانت زوجتك طفلة صغيرة سيئة الخلق، ثم صارت طفلة كبيرة سيئة الخلق، ثم صارت مراهقة سيئة الخلق، ثم صارت شابة سيئة الخلق، وأخيراً ها هي ذي امرأة وزوجة سيئة الخلق.

* * *

حسناً، هذا هو تشخيص المشكلة، فما العلاج؟

العلاج بتغيير السلوك، وهو يتغير بطريقتين:

أولاهما تغيير الأفكار التي ينشأ منها السلوك، وهذا انفعال من النوع الإيجابي، وثانيتها تغييره خوفاً من العقاب، وهذا انفعال من النوع السلبي.

ألا ترى إلى إدارة المرور -مثلاً- كيف تغير سلوك السائقين المتهورين؟ إنها تقدم «برامج توعية» تسعى من خلالها إلى إقناع السائقين بمخاطر السرعة وعواقب التهور، وقد تشمل هذه البرامج عرض صور تُظهر نتائج حوادث السرعة أو تقديم برامج حوارية مع ضحايا هذه الحوادث مثلاً... ثم تكمل هذه البرامج النظرية بتطبيق مجموعة من القوانين الرادعة.

النوع الأول من العلاج هدفه تغيير الأفكار التي تدفع السائقين إلى القيادة المتهورة، فبدلاً من اعتبار السرعة ممارسة آمنة ممتعة تدعو إلى المفاخرة والمباهاة سوف تصبح ممارسة خطيرة مقلقة تدعو إلى الخجل والندم، وهي ستصبح -في نظر السائقين- عملاً يدل على التهور وقلة الحكمة لا على المهارة والاحتراف. هكذا تتغير القنوات والأفكار الدافعة إلى السلوك فيتغير السلوك السلبي نفسه، فإذا لم يكن حجم التغير كافياً فلا بد من

اللجوء إلى الردع، أي إلى التخويف من العقاب الذي سيعاني منه المخالفون، مادياً بالغرامة وبدنياً بالحبس، وهذا هو خط الدفاع الأخير في وجه مخالفة النظام والقانون.



فلنطبق الآن هذا الأسلوب لعلاج الخلق السيئ الذي تعاني منه مع زوجتك، وهو علاج نظري وعملي كما أسلفت:

(أ) ساعد زوجتك على إدراك حجم المشكلة:

صارحها بأنها تتخلّق بخلق ذميم. حاورها في ساعات الصفاء وبيّن لها ما يصنعه سوء خلقها بعلاقتكما، وبالغ في تصوير الخسائر الكثيرة التي يتسبب بها هذا الخلق السيئ. أخبرها أن العصبية وسوء الخلق هما العدو الأكبر للسعادة والاستقرار النفسي والزوج والعائلي، وأنهما غالباً ما يدمران العلاقة مع شريك الحياة. بيّن لها أن «الخلق السيئ» يكاد يكون من أكثر ما ذمّه الدين من الأخلاق القبيحة، ودعّم «حملتك» بتذكيرها بما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار، فلعلها تستمدّ من تديّنها ما يقنعها ويغير سلوكها (وقد قلت في رسالتك أنها من أسرة متدينة).

لقد تحدثتُ عن سوء الخلق في مشكلة قديمة
أجبت عنها ذات يوم، وسقت فيها عدداً من الأحاديث
المهمة في هذا الموضوع، وها أنا ذا أكرّرها هنا:
فعن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن سوء
الخلق يُفسد العملَ كما يفسد الخلُّ العسلَ». وعن
أبي العلاء بن الشخير أن رجلاً جاء إلى رسول الله
ﷺ من بين يديه فقال: يا رسول الله، ما الدين؟ قال:
«حسن الخلق»، ثم أتاه عن يمينه فقال: يا رسول
الله، ما الدين؟ قال: «حسن الخلق»، ثم أتاه عن
شماله فقال: ما الدين؟ فقال: «حسن الخلق»، ثم
أتاه من ورائه فقال: يا رسول الله، ما الدين؟ فالتفت
إليه وقال «أما تفقه؟ هو أن لا تغضب». وعن أنس أن
النبي ﷺ قال: «إن العبد ليلغ من سوء خلقه أسفل
درك جهنم».

فإذا تخلص المرء من سوء الخلق وصار
«حَسَنَ الخلق» فقد صار ممن يحبهم الله ورسوله.
واقرؤوا إن شئتم ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص
عن النبي ﷺ: «إِنَّ من أحبكم إليَّ أحسنكم أخلاقاً»،
وما رواه جابر أيضاً: «إِنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم
مَنِّي مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً»، وفي

حديث أبي هريرة: «إن الله ليبغ العبد بحسن خلقه درجة الصوم والصلاة». وقد ورد في حسن الخلق ما ورد، لكن يكفي فيه هذا التعبير الجامع المانع، القول الفصل في المسألة: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق».

هذه الأحاديث قليلٌ من كثير مما ورد في هذا الباب، ولو أنك رجعت إلى متون الحديث وجوامعه (كجامع الأصول والتاج الجامع للأصول) وكتب الرقائق والآداب (كالإحياء ومختصراته النافعة، كمختصر منهاج القاصدين مثلاً)، لو أنك رجعت إلى أمثال هذه المصادر لوجدت الكثير.



(ب) أرجو أن يقرب الأسلوب السابق زوجتك من الشفاء من خلقها السيئ، لكنه لن يكون كافياً وحده بالتأكيد، فدعّمه بنظام متكامل من الثواب والعقاب.

الْبِسْ لَخُلُقِ زَوْجَتِكَ الْحَسَنَ لَبُوساً وَلِلْخُلُقِ السَّيِّئِ لَبُوساً: إذا تجاوبت وحسّن خلقها فأظهر لها الودّ وأحسن إليها بالكلمة الطيبة وعاشرها معاشرة

حسنة، وشجعها على الثبات على تحسّنها بالمداومة على إطرائها وتأكيد ملاحظتك لجهودها، ولا بأس في أن تحضر لها بين وقت وآخر هدية رمزية أو أن تصطحبها في نزهة أو عشاء «رومنسي» مثلاً، على أن تربط ذلك كله بتحسّن أخلاقها حتى يكون دافعاً لها على الثبات عليه.

لكن العلاج لن يكون بهذه السهولة ولن يعتمد على الثواب فقط. إن حقيقة النفس البشرية أعقدّ من ذلك للأسف، والله الذي وعد الطائعين العابدين بالجنة أوعدَّ العُصاة البُغاة بالنار، وإن كل نظام صالح للتربية لا يخلو من محاكاة هذا النموذج الإلهي: التردد بين الثواب والعقاب. سوف تسنح لك الفرصة لتكافئ، وذلك كلما لمست في زوجتك تحسناً وتجاوباً، لكن أوقاتاً أخرى ستأتي ولن يكون أمامك فيها من خيار إلا العقاب، وهذا هو الشق المكمل لبرنامج الشفاء.

من الوصف الذي قدمته لزوجتك أستطيع أن أخمّن أنها لا بد أن تثور وأن تُظهر أسوأ ما عندها مرات كثيرة قبل الوصول إلى الشفاء التام، وخلال هذا الوقت سوف تعبس في وجهك وتثور وتصرخ،

وسوف تُسمعك ما لا تحب سماعه من الشتمات
ونوابي الألفاظ، بل ربما مدت إليك يدها! ألم تقل
أنها فعلت ذلك من قبل؟ أي أنها ضربتك أو أنها
حاولت أن تضربك! وماذا فعلت أنت أمام ذلك
كله، أو ماذا تفعل إذا تكرر منها من بعد؟

يتعلم طلاب المدارس في دروس الفيزياء
قانوناً يقول أن لكل فعل ردّ فعلٍ مساوياً له في القيمة
ومعاكساً في الاتجاه^(١)، وهذا هو تماماً القانون الذي
أريد منك تطبيقه خلال مدة العلاج.

لقد عاشرت زوجتك ما يكفي لتصبح خبيراً
بأشكال ودرجات انفعالها، فاجلس مع نفسك ساعة
وصنّف هذه الانفعالات في ثلاث فئات: الفئة الدنيا،
وفيها -على سبيل المثال- العبوس والنكد واللجاجة.
والفئة الوسطى، وفيها الصياح والتخريب. والفئة
العليا، وفيها السب والشتم والاعتداء باليد. بعد ذلك
جهز رداً مناسباً لكل فئة من هذه الثلاث، وكما قلنا
فلا بد أن تكون قوة الرد بحجم قوة الإساءة، وأنت
أقدر مني على ابتكار الردود المناسبة لأنك تعرف

(١) وهو قانون نيوتن الثالث في الحركة.

زوجتك وتعرف ما يؤثر فيها. ربما كان الرد على اعتداءات الفئة الأولى هو إظهار الغضب والتبكي القاسي الحازم، وعلى الثانية المقاطعة الكاملة - في الحديث وغيره - لمدة يوم كامل مثلاً.

أما المخالفات الأخطر فلا بد لها من موقف حاسم حتى تُجَتَّ من جذورها، فهل تقبل أن يصير احتقارك واستصغارك عادةً تألفها زوجتك حتى تسبّك أمام أهلك اليوم وأمام أولادك غداً، بل وأن ترفع يدها عليك أيضاً؟ لا يمكنك أن تقبل هذا العدوان الفظيع الذي من شأنه - لو حصل - أن يحطم صورتك ويذهب هيبتك أمام والديك وأبنائك وسائر الناس، بل وأمام نفسك أيضاً في نهاية المطاف! إذن قف أمامه وقفة صلبة منذ اليوم الأول، أو دع عنك هذه الوقفة واستسلم لقدرك إن كان هذا المصير يرضيك.

ستقول: ماذا أفعل لو أنها شتمتني أو ضربتني؟ وأنا أجيبك: اضربها! لا تظن أنني متوحش أو أنني من أنصار ضرب الزوجات، بل إن لي في هذه المسألة رأياً متشدداً متطرفاً عبّرت عنه في مناسبات كثيرة في الماضي، فأنا أرى أن الرجل الذي يضرب

زوجته ليس سوى رجل ناقص الرجولة، بل إن رجولته لتنقص بمقدار اعتدائه على زوجته وإيذائه لها. لقد منح الله الرجل من القوة ما لم يمنحه المرأة، فخلق الرجل قوياً وخلق المرأة ضعيفة لحكمة أرادها عز وتبارك، ولا يُسأل الله عن علة خلقه وسبب عمله. والقوي لا يمكن أن يعتدي على الضعيف إلا إذا فقد المروءة وكان من لئام الناس، أما الشريف الشجاع فإنه إنما يقارع من كان له أهلاً في المكانة ومثيلاً في القوة.

هذا هو الأصل، لكن رد العدوان واجب سواء أكان المعتدي قوياً أم ضعيفاً، على أن قوة الرد تحددها قوة المعتدي: فمن اعتدى عليك بالسلاح واستطعت أن ترد عدوانه بالسلاح فافعل، ومن اعتدى عليك بقوة عضلاته واستطعت أن تجعل من قوة عضلاتك حائلاً بينك وبينه ومانعاً من عدوانه فافعل، وإذا اعتدى عليك صغيراً أو ضعيفاً فامنع عدوانه عنك بأقل قوة تستطيعها، ليس انتقاماً وبطشاً ورداً على الصاع بصاع وإنما لكيلا يستمرى المعتدي العدوان فيوغل فيه ويقيم عليه، كائنًا من كان.



لا أنا ولا غيري من العقلاء يحبون هذا النوع
من العلاج الرادع الكريه، لكنك ربما سقيت ولدك
الدواء المُرَّ لِيَشْفَى بإذن الله، وربما قبلت أن يُشَقَّ
بطن امرأتك لاستئصال ورم خبيث لا قدَّر الله،
فترضى بالأمر الكريه فراراً مما هو أشد منه كراهة،
وكذلك ما وصفته لك آنفاً من علاج. فامضِ به -على
كراهته- ولا تتردد: إذا سَبَّكَ زوجتك فأَبَّها بقسوة
ولو ضربتك فاضربها «ضرباً رمزياً». لا تستثمر قوتك
في ضربها ولا تؤذيها، بل اضربها على يدها فحسب
أو على العضد أو الساعد أو ظهر الكف، فإن هذا
الضرب مُهين رادع ولكنه غير مؤذ. المهم أن تصل
الرسالة: أنت قادر على وقفها لو أنها تَمَادت في
السوء والعدوان، وسوف تعاقبها كلما وجدتَ منها
تعدياً وتجاوزاً للحدود.

يجب أن تفهم زوجتك هذه الرسالة بالوضوح
نفسه الذي فهمتَ به رسالة الثواب، حينما أحسنتَ
إليها جزاءً تَحَسَّنَ أخلاقها ولاطفَتها رداً على لطفها
(كما أوضحْتُ في القسم السابق من هذا الجواب).

سوف يتسبب تفاعلِكَ الإيجابي مع مواقف
زوجتك الحسنة وسلوكها الحسن وتفاعلِكَ السلبي

الحاسم مع مواقفها السيئة وخلقها السيئ، هذا كله سوف يتسبب -لا محالة بإذن الله- في مغالبتها لنفسها وتكلفتها تحسين أخلاقها، فإنها ستحرص على التطبّع بالخلق الحسن وحمل نفسها على هجر الخلق السيئ لتفوز برضاك، فتحصل على الثواب العاجل وتنجو من الرد الرادع.

وهذا التطبع هو كل ما نريده ونسعى إليه في رحلة العلاج الطويلة هذه، فكل خُلُق يبدأ تطبعاً ثم ينتهي طبعاً، ومع الوقت سوف ينقلب تطبعها إلى طبع ويغدو تكلفتها اللطف لطفاً أصيلاً فيها بإذن الله.

وفقك الله أنت وزوجتك وألفَ بينكما ورزقكما الخلق الحسن والذرية الصالحة والحياة الطيبة في الدارين.



علاقة زوجية مضطربة

أنا طالب من طلبة العلم في كلية الشريعة وحافظ للقرآن ولي دروس في التفسير بفضل الله. مشكلتي التي أخجل من عرضها أنني منذ بضع سنوات وأثناء إعدادي لرسالة الماجستير وقعتُ مصادفةً على بعض المواقع الإباحية، فهالني هذا الأمر، ولكنني أخطأت وظلمت نفسي فتجاوزت النظرة الأولى إلى الثانية والثالثة! بعدها أغلقت الجهاز وأحسست بالذنب العظيم، فبكيت وتبت واستغفرت الله. ثم ألحّت تلك الصور على ذهني بعد شهور فرجعت إلى المواقع نفسها ففتحتها ونظرت، ثم ندمت واستيقظ ضميري وتبت إلى الله وأقلعت عن المعصية.

ثم تزوجت بعدها بفضل الله، وكنت مقتنعاً بأن الزواج يعصمني من الوقوع في هذه المحرمات، لكنني واجهت بعد الزواج مشكلة كبيرة، هي امتناع زوجتي وتهربها مني خوفاً من العلاقة الزوجية، واستمرت هذه المشكلة قريباً من السنة! في تلك الفترة عشت مثل الأعزب، وفي نفس الوقت اشتدت الشهوة

لأن الزوجة موجودة ولكن الوصول إليها صعب، فأوقعني الشيطان وذكرني بتلك المواقع فعدت إليها وصرت أنفَس بها عن نفسي، ثم أندم بعدها ندماً شديداً وأتوب وأمكث فترة تائباً. ثم تشدد الشهوة وأضعف عن مقاومتها فأرجع إلى تلك الصور، ثم أندم وأتوب واستغفر الله من هذا الذنب العظيم. ومع التكرار وطول المدة صرت مدمناً على تلك الأمور وضعفت مراقبة الله في قلبي، وحتى عندما بدأنا بعلاقة طبيعية أنا وزوجتي لم أعد أحس برغبة شديدة فيها وربما مكثت شهراً لا أقربها فيه إلا مرة واحدة.

فكرت كثيراً في فصل خط النت، لكن المشكلة أنني أحتاج إليه كثيراً في البحث والتصفح بحيث لا يكاد يمكن للإنسان أن يعيش بدون إنترنت في هذه الأيام، ومن ثم فقد عملت «فلتر» وحجبت المواقع الإباحية عن طريق الشركة المزودة للنت. مع العلم بأنني يستحيل أن أنظر إلى أي امرأة في الشارع، مع كثرة المتبرجات في بلادنا بألبسة تنافي أدب الشرع.

لا أدري ماذا أفعل، فقد صرت من المدمنين

على هذه المواقع (ولكن على فترات متباعدة)
وصار صعباً عليّ تركها. وأنا أحب الأعمال
الصالحة وأحرص على برّ والديّ وأحب أن
أستمر في تدريس التفسير، ولكنني بدأت أفكر
بالتوقف عنه خشية أن أكون من المنافقين،
فربّ طالب علم لم ينفعه علمه وأخشى أن
أكون منهم. أسأل الله أن يكتب في جوابك
الشفاء وأن يلهمك أن تكتب شيئاً يغير مجرى
حياتي، فبماذا تنصّحني؟

أول ما أبدأ به هو تهنّتك على علمك، فاشكر
عليه الله لأن الشيطان يغلب ألفَ عابد ويغلبه عالمٌ
واحد. إن كثيرين أصابهم ما أصابك فيئسوا من
الصالح وتمادّوا في الخطيئة، ذلك أنهم لما وقعوا
في المعصية ظنوا أنها لا توبة لهم، أو ظنوا أنهم قد
خسروا الإيمان بالله فدفعهم اليأس إلى الوقوع في
الأسوأ. من أجل ذلك كان اليأس من رحمة الله كبيرة
من أعظم الكبائر.

ثم إن الذين آتاهم الله نصيباً من العلم يدركون
أن الله يفرح بتوبة المخطئ يقع في الذنب ثم يأتيه
تائباً مستغفراً، يفرح بهذا التائب كما يفرح الواحد

من الناس ضيَّع في الصحراء اللاهبة بغيره، ثم وجده
فنجأ بعدما كاد يهلك. كم يفرح هذا الرجل وقد رُدَّ
عليه بغيره ورُدَّت عليه حياته؟ إن الله أكثر فرحاً
منه بتوبة عبده، هكذا خبرنا النبي الكريم ﷺ في
الحديث الصحيح.

وهل أنت إلا عبد تائب؟ وهل من دليل على
توبتك أصدق من أنك تفكر بقطع الت ثم تطلب من
الشركة التي تزودك بخدمة الاتصال أن تحجب عنك
المواقع السيئة؟ كل هذا دليل على صدقك وجِدِّك
في التوبة وحرصك على عدم الوقوع في الحرام مرة
أخرى، لكنك لا تلبث أن تعود فتقارف الذنب من
جديد، فما تفسير هذا؟ هل هو نكوص عن التوبة أم
هو مخادعة لله؟ معاذ الله! بل هو ضعف أمام إغراء
المعصية، ضعف عابر يعتري النفس فتسقط فريسة
في يد الشيطان وإغوائه وإغرائه، فإذا سقطت عدت
فتبت صادقاً وعزمت على عدم العودة إلى ما كنت
فيه.

اصنَعْ ذلك في اليوم مئة مرة: تذنّب ثم تتوب
وتستغفر وتذنّب ثم تتوب وتستغفر... وما عليك
بأس. لا، ليس أنا من يقول ذلك، بل هو ما يخبرنا

به نبينا الكريم نقلاً عن ربنا الكريم الرحيم، وكما قلت لك آنفاً: إنك هكذا تغلب الشيطان بدلاً من أن يغلبك، فاحمد الله لأنه رزقك الإيمان العميق الذي يصرفك عن المعصية كلما هممت بمقارفتها، والذي يُشعرك بالألم والحزن كلما وقعت فيها ويحرك فيك كوامن الخير لتنصرف عنها وتتوب منها.

إنني أفكر في كل ما قصصته عليّ فأجذك فائزاً لأنك واحدٌ تحارب اثنين، وأنت -مع ذلك- غالبٌ في أكثر الوقت مغلوبٌ في أقلّه: إنك تحارب عدواً أخذ على نفسه عهداً أن يضلّك ما بقي حياً: ﴿قال رأيته هذا الذي كرّمت عليّ؟ لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً﴾، هذا هو أول الخصميين، وتحارب معه غريزةً غرزها في نفسك رب العالمين، هي غريزة الانجذاب إلى النساء والافتتان بهن.

ولكن الله لم يغرّز في نفسك هذه الغريزة لتتعذب، إنما غرزها لصالحك ولصالح الناس جميعاً من أجل التناسل والبقاء. ثم إنه تبارك وتعالى قد فتح لك باباً مشروعاً تُشبع من خلاله هذه الغريزة بالحلال، فإذا أشبعتها كما أراد لك الله لم تنج من

الإثم فقط بل كسبت معه الثواب: «وفي بضع أحدكم صدقة». وهذه من أعاجيب هذا الدين، يفتح لك باب متعة ويشجعك على وُلوجه: «من استطاع الباءة فليتزوج»، ثم يكتب لك على متعتك الثواب، فأنت فائز هكذا مرتين.

وداوم على ما أنت فيه من طلب العلم ونشره بين الناس، ولا يصرفَنَّ عنه ابتلاءً ابتليت به سيئتيك منه الله بإذنه تعالى، فإن الحسنات يذهبن السيئات. وأنت لا تنافق بدعوتك ولا تخدع الناس عن نفسك، بل أنت صادق في الالتجاء إلى الله والتوبة من الذنب، فلعل الله يفرّج عنك بمحبتك لدينه وسعيك في نشره بين الناس. وكذلك داوم على الصدقة وعلى البرِّ الذي فصلته، مع والدَيْك ومع الناس جميعاً، وكل ذلك في ميزان حسناتك بإذن الله. أما الانصراف عن الدعوة والتعليم بحجة النفاق فلا أراه إلا من مداخل الشيطان، والفقہ الصحيح يغلب كيد الشيطان بإذن الله.

* * *

والآن نصل إلى أساس المشكلة، وهو الخلل في «علاقتك الزوجية» بشريكة حياتك. هذا الخلل

هو السبب الرئيسي في المشكلة كلها فيما يبدو لي ،
وقد بدأ منذ اليوم الأول واستمر طويلاً ، بل لعله ما
يزال مستمراً إلى اليوم ، لذلك سأفيض في الحديث
عنه وعن علاجه ، وأرجو أن يساعدك حلُّه على
النجاة من مشكلتك كلها.

أريد أولاً أن أهنئك على نبلك وحسن أخلاقك
حينما تجاوبت مع تمنع زوجتك في أول زواجكما ،
ولكني سألومك أيضاً. فالظاهر أن زوجتك امتنعت
منك خوفاً ورهبة من الجماع.

وهذا الخوف وهذه الرهبة مفهومان بالنسبة
لعروس صغيرة السن ، لذلك تجدني أنصح الأزواج
دائماً بأن يوغلوا مع زوجاتهم ببطء ورفق ، وأن يغلفوا
«العلاقة البدنية» بغلاف من المشاعر والعواطف ،
وأن لا يستعجلوا في قطف الثمرة من الليلة الأولى
إلا إذا كان الطرف الثاني مستعداً تماماً ، فإن لم يكن
كذلك فليتدرجوا في الاقتراب في يومين أو بضعة أيام
وصولاً إلى «العلاقة الكاملة».

ولكن انتبه إلى ما قلت: يومان أو بضعة أيام ،
بل فلتكن أسبوعاً ، أما السنة التي ذكرتها أو ما هو
قريب من السنة فلا يرضاه عاقل لنفسه ولا لشريكته!

فكيف صبرت أنت وكيف صبرت هي عن «اللقاء الزوجي» وأنتما تعيشان تحت سقف واحد، فترى منها ما يراه الزوج من زوجته وترى منك ما ترى الزوجة من زوجها، ولا بد أن يكون بينكما تماسٌّ وتقارب وعناق يزيد الاشتياق؟ هذا الصبر من الطرفين غريب، ولا ريب أنه كان سبباً رئيسياً في تفاقم مشكلتك.

أما الآن فالذي يبدو من رسالتك أنكما تعيشان «حياة زوجية» باردة، فما مرة في الشهر وأنت شاب في ريعان الشباب وهي شابة في ميعة الصبا؟ هذا المعدل غير معقول لأي منكما. بالطبع لا توجد قاعدة صارمة تحدد عدد المرات التي «يلتقي» فيها الزوجان في الأسبوع أو في الشهر، لكن الكتابات المتخصصة تذكر "عدة مرات في الأسبوع" وتعتبر هذا التكرار نموذجاً عاماً صالحاً للأزواج الصغار، فلعل مرتين أسبوعياً أو ثلاث مرات تكون هي الحد الأدنى الطبيعي إذن.

وأنت لم تذكر شيئاً عن الاستمناة (الذي يدعونه العادة السرية) لكنني افترضت ضمناً أنك تعوّض به علاقتك المشروعة بزوجتك، وإلا فماذا

تصنع بنفسك إذا شاهدت الصور الإباحية؟ لا يُعقل أن تدفع نفسك إلى ذروة الشهوة ثم تتركها بلا ترضية. إذن سأمشي مع هذه الفكرة وسوف أفترض أنك تُشبع رغبتك بنفسك عدة مرات في الأسبوع، وفي الأسابيع الثلاثة أو الأربعة تقارب زوجتك مرة واحدة.

هذه هي الصورة إذن: أنت تُرضي نفسك مع زوجتك وترضيها معك مرة في الشهر، وترضي نفسك بعيداً عنها مرات كثيرات. فماذا تصنع هي بنفسها في هذه الأثناء؟ هل تعاني من رغبتها المكبوتة أم أنها تعوّض عن فقدك بعمل «ذاتي» كما تفعل أنت؟ أنت مذنّب وجانٍ عليها في الاحتمالين كليهما، فإذا حرمتها وهي راغبة فأنت مقصّر بحقها، وإذا دفعتها إلى أن تفعل بنفسها ما تفعله أنت بنفسك فقد جنيت عليها وعلى نفسك معاً^(١).

(١) في حكم الاستمناء خلاف بين أهل العلم، فقد منعه الجمهور وأباحه ابن حزم وأحمد (في إحدى الروايتين) ورؤي مثله عن ابن عباس وعدد من كبار التابعين، واختاره الشوكاني وطائفة من علماء العصر. أما إدامة النظر إلى العورات فلا خلاف في حرمة.

هذا هو سبب المشكلة الحقيقي فيما أحسب:
الفتور في «العلاقة الزوجية» بينكما وعدم إشباع
كل منكما لصاحبه، ولا سيما إشباع زوجتك لك،
وهذا الأمر يبقيك في رغبة وتشوق فتذهب فتفتح من
الأبواب ما يوصلك إلى المتعة وإلى الاكتفاء.

فابدأ من هنا العلاج وثابر عليه: علّم زوجتك
كيف تملأ عينك وكيف تكفيك عن غيرها: اشتر لها
الملابس التي تحب أن تراها فيها، وشجعها على
الزينة التي تستهويك، وأثنِ على ما تراه منها من هذا
كله لتدفعها إلى المداومة عليه والتفنن فيه، إلى غير
ذلك مما يكون بين الأزواج والزوجات ولا سيما في
أول العهد بالزواج.

لكن لا تنسَ أبداً أن العلاقة الصحيّة الصحيحة
بين الزوجين ليست علاقة «عمل بدني» فحسب،
بل هي علاقة متكاملة من المودة والتفاهم والحب
والانسجام، وكلما زاد الانسجام بين الزوجين ونمت
بينهما المحبة والمودة زاد تعلق كل منهما بصاحبه
وزاد إقباله عليه واكتفاؤه به.

وهذا كله يُتوصّل إليه بالانفتاح والحوار
والمشاركة في الاهتمامات والهوايات، فاحرص

على صنع عالم روحي وفكري مشترك يضمكما معاً
ليستغني كل واحد منكما بصاحبه عمّن سواه.



هذه نقاط عامة موجزة، وكلما أغنيت علاقتك
بزوجتك وزينتها بالبهجة كانت لك غناء عن البحث
عن الاستمتاع بعيداً عنها، ويعوضك الله - بإذنه -
بالحلال عن الحرام وبالطاعة عن المعصية. وفقكما
الله وجمع بينكما على ما يحبه ويرضاه.



المحتويات

مقدمة	٥
استشارة في الحب	١١
بَتْ الرأي في خطبة معلّقة	١٧
الزواج بمساعدة مواقع التواصل	٢٠
الزواج من طبقة مختلفة	٢٢
هل أتزوج امرأة تكبرني في السن؟	٢٣
أهم صفات الزوج الجيد والزوجة الصالحة	٢٧
اضطراب العلاقة بعد وصول الأطفال	٣٠
علاج مقترح لكسل الزوج	٣٢
حياة مستحيلة	٣٦
مشكلات لا تنتهي	٤٤
شاب أرغمه حمّوه على تطليق زوجته	٥٣
هل يمكن الاستمرار في هذا الزواج؟	٥٧
هل أنفصل عن زوجي؟	٦١
كهلٌ يتشبّب	٦٧
غيرة مبالغ فيها	٧٣

٧٧	 مشكلة شكّ الزوج وغيّره المرضية
٩١	 الخشية من خيانة الزوجة
١٠٠	 رجل متوحش يضرب زوجته
١٠٤	 التعامل مع زوجة جاحدة
١١٤	 كيف أهذب شراسة زوجتي؟
١٢٧	 علاقة زوجية مضطربة

استشارات أُسرِيّة

مجاهد مأمون ديرانية

مُشكلات تربيّة



الخيال للنشر والتوزيع
AJITAL Publishers

استشارات أُسرِيّة

مجاهد مأمون ديرانية

مُشكلات زوجيّة



الخيال للنشر والتوزيع
AJITAL Publishers

استشارات أُسرِيّة

مجاهد مأمون ديرانية

مُشكلات شبابيّة



الخيال للنشر والتوزيع
AJITAL Publishers

استشارات أُسرِيّة

مجاهد مأمون ديرانية

مُشكلات اجتماعيّة



الخيال للنشر والتوزيع
AJITAL Publishers



موقع المؤلف الإلكتروني
(وفيه جميع كتبه المنشورة)

<https://mujahed-dira.com>

قناة المؤلف في تلغرام
(ملفات الكتب متاحة فيها أيضاً)

https://t.me/mujahed_dira

حساب المؤلف في فيسبوك

<https://www.facebook.com/MujaDira>